الأب جوّرج رحمه
الراهب الأنطوني

أوريجانوس الإسكندري

موسوعة
"عظماء المسيحيّة في التاريخ"
١٠

الطبعة الأولى ١٩٩٢

منشورات
المركز الرّعوي للأبحاث والدّراسات
الرئاسة العامّة للرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة
دير مار روكز- الدّكوانة- لبنان

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلّف
وللرهبانيّة الأنطونيّة المارونيّة

للمؤلف

في اللغة العربية:

١ ـ رسالة في فضيلة العفاف لايليّا النصّيبيني، مقدمة وتحقيق، مجلة المشرق، ١٩٦٧.
٢ ـ الجوّ الالهي لتيار دي شارن، ترجمة بالاشتراك مع المطران عبده خليفه، بيروت ١٩٧١.
٣ ـ الارامية السريانية، لغة وتراث (اربع لغات: سرياني ـ عربي ـ فرنسي ـ انكليزي)، الجزء الاول من عشرة اجزاء، بيروت ١٩٨٠.
٤ ـ مع الله (نجاوى)، الجزء الاول من ستة اجزاء، بيروت ١٩٨١.

في اللغة الفرنسية

1 – Le drame de l'humanisme athée ou le Pour–Autrui dans l'Etre et le Néant de Jean–Paul Sartre, Beyrouth 1978.
2 – Le problème du mal dans la pensée du père Teilhard de Chardin, Beyrouth 1979.
3 – Coordonnées de la Crise Libanaise, Centre de Documentation et de Recherches (CEDRE), Beyrouth 1979.
4 – Jawad Boulos: Philosophe de l'histoire, Beyrouth 1981.
5 – La vision Cosmique et Mystique chez Teilhard de Chardin, Beyrouth 1982.
6 – Teilhard de Chardin: Mystique Savant, Publishing and Marketing House (CEDRE), Beyrouth 1984.

للطبع:

١ ـ الكاهن (رسالة جوابية من كاهن ماروني الى درزيّ موحّد).
٢ ـ الراهب والسياسة
٣ ـ الكنيسة الكاثوليكية والماسونية
٤ ـ دراسات فلسفية لاهوتية.
٥ ـ الرهبان الانطونيون وتاريخ لبنان.
٦ ـ أجمل ما قرأت.
٧ ـ مفهوم الديمقراطية عند تيار دي شاردن.
٨ ـ العلم والمسيح لتيار دي شاردن، ترجمة بالاشتراك مع المطران عبده خليفه.

الإهداء

إلى كنيستي التي أحببت
مِن خِلال عُظمائِها الذين أحيوها
بدِمائِهِم كشهداء وبمعاناتِهم
كمُضطهدِين في قلبها
وإلى رهبانيّتي الأنطونيّة المارونيّة
التي حضنتني وعلّمتني لكي أخدم المسيح
وكنيسته وشعبه والإنسان مِن خِلالها
راجيًا مِنه تعالى أن يُبارك عملي هذا
خِدمةً للنفوس وترسيخًا للإيمان.

القسم الأول

أوريجانوس

الإنسان والمعلم والمؤلف والحكم في الكنيسة

أوريجانوس

(١٨٥ ـ ٢٥٣)

مقدمة

يمكننا القول، دون الوقوع في ايّ نوعٍ من أنواع المبالغة، إنَّ اوريجانوس هو واحد من أكبر العباقرة، ليس فقط في تاريخ الكنيسة، بل في تاريخ البشرية قاطبة. ولا نقارن به في العصور المسيحيَّة القديمة سوى القديس «أغوسطينوس». فكلّ ما في شخصه وشخصيته يدعونا الى الاعجاب، بدءاً باتساع علمه وقوة هذا العلم، مروراً بحماسة الانسان فيه ودفء ورعه، انتهاءً بصفات المسيحي الدينية كحرارة نفسه التي لا تكون إلاّ لرسولٍ وشهيد. إنَّه صاحب المواهب الغنيّة، المتعدّدة الجوانب، التي لا يمكن استيعابها كليّاً. يكشف عن نفسه تدريجاً إلى أن ينتهي باختراق العقل والقلب معاً. غير أنه، رغم اختراقه العقل والقلب معاً، يترك لقارئه شعوراً بانه معين لا ينضب ولا يعرف الجفاف. فنحن نكتشفه على دفعات. وكلّ مرّةٍ نقول إننا وصلنا الى سبر أغوار فكره، نرانا ابتدأنا من جديد كأن الرحلة معه هي في البداية

نظراً الى تشعّب علومه، وتعدّد المواضيع التي يطرقها، رابطاً ايّاها ببعضها البعض. فمن الفلسفة، الى اللاهوت، الى الكتاب المقدّس، الى الروحانيات، الى العلوم التربوية والانسانية... جميعها تطرّق لها وكتب فيها حتى أنّ اللاهوتيين والفلاسفة يحصون ما يزيد على الألفي مجلّدٍ، ضاع بعضها مع الزمن، وبقي الكثير منها، فاغتنى الفكر الانساني بها. وباختصار، فان هذا الرجل هو أحد كبار رجال الفكر العالمي، ومن أهمّ عظماء المسيحيّة في التاريخ. هو صاحب شخصية تعلو على كلّ ضعف، وصاحب فكرٍ موسوعي قلّ نظيره، تميّز بجرأة لا حدود لها، وحتى لم يعرف مثلها تاريخ البشرية. وسنأتي على ذكر كلّ ذلك في سياق حديثنا بعدئذٍ.

١
اوريجانوس المسيحي

اوريجانوس يكاد ينفرد بين عظماء المسيحيّة في القرون الأولى بانه ولد مسيحيّاً، وكان والده «ليونيداس» قد عبّد له طريق الشهادة قبله. فاسرته مسيحيَّة ميسورة. ولقد استشهد ابوه في سبيل ايمانه بالمسيح. وهكذا نشأ اوريجانوس في جوّ يعبق بالحرارة الدينية متوقعاً الاستشهاد، متأثراً بهذا الوضع طوال حياته. ويمكن القول هنا إن مدينة الاسكندرية التي ولد فيها جمعت بين نقيضين هما الأفضل والأسوأ: جمعت بين التزهّد والبطولة، وبين البذخ والانفلات والاستسلام للشهوات. ولقد عمّده والداه منذ نعومة أظفاره، ونشأ نشأة مسيحيّة مؤمنة بالمسيح وبكنيسته. وسرعان ما تنبّه والده لحدّة ذكائه، فتوقف طويلاً حيال الأسئلة العميقة التي ما انفكَّ الفتى يطرحها عليه حول مضمون الكتاب المقدس. ولقد بلغ نضوجه المبكر حدّاً جعله يسعى الى اللحاق بابيه عندما ألقي القبض عليه، فاضطرت والدته الى اخفاء ثيابه كي تمنعه من تسليم نفسه الى القضاة. فكتب الى ابيه يحثّه على الثبات. وهذه الرسالة الأولى مهَّدت لعمله الرائع، بل انها احد أروع أعماله الكتابية. ولقد جعل عنواناً لها: «الحضّ على الشهادة»، وكان عمره لم

يتجاوز السابعة عشرة. وبعد استشهاد والده وضعت السلطات يدها على كلّ أملاكه، فتأزمت حال الأسرة وعرفت العوز والفاقة. فالام الثكلى مسؤولة عن سبعة أولاد، كبيرهم أوريجانوس. وكان للفتى، المدعو للشهادة ولاحتلال مكان الصدارة بين عظماء المسيحية، موقف استشفّ منه المسيحيون حياة زهد واستعلاء على المادة المدنّسة بالشك والهرطقة. فعندما حاولت احدى السيدات المسيحيات في مدينة الاسكندرية أن تتعهّد شؤون الاسرة رفض اويجانوس مساعدتها لا لشيء إلاّ لكون تلك السيدة تتأثّر بتعليم أحد الغنوصيين الذي يدعى بولس. فطهارة ايمانه ظلّت دائماً أثمن الكنوز بالنسبة إليه.

٢

أوريجانوس رئيس مدرسة الاسكندرية.

بعد هرب القديس «كليمنضوس الاسكندري»، الذي كان يرئس مدرسة الاسكندرية، من جرّاء اضطهاد المسيحيين في الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور «سبتيموس ساويروس»، عهد الأسقف «ديمتريوس»، اسقف المدينة، برئاستها الى أوريجانوس نظراً الى عمق ايمانه وسعة علمه ورصانته وتزهده واطّلاعه الواسع على جميع علوم عصره. وامام هذه المسؤولية الضخمة فرض أوريجانوس على نفسه أشدّ صنوف الحرمان، فأقلع الى حين عن الثقافة الدنيويّة وباع مخطوطات المؤلفين اليونانيين التي كان قد اقتناها بكثرة، ودخل حياة الزهد. وفي تلك المدرسة أحاط بالمعلم الشاب عدد كبير من بنات مصر وشبابها من الذين كانوا يهيّئون أنفسهم لتقبّل سرّ العماد، فسحرت موهبته، وجذب شبابه، جمهوره المتدفق شعوراً وحماسة. وربّما تسبّبت له الجاذبية التي أحسّ بانها تجذب إليه قلوب النساء باضطراب عميق، فتخلّى عن رجولته، مختاراً، كعادته دائماً، الحلّ البطولي، وأصبح طوعاً «خصياً من أجل ملكوت السماوات». وأخذ نجاحه يكبر، فتوافد على دروسه الهراطقة والوثنيون على حدّ سواء، ومعظمهم من المتعمقين في

الفلسفة وفي العلوم الدنيوية. ولكي يتمكّن من مجادلتهم، تابع اوريجانوس دروس «أمونيوس سكّس»، مؤسّس الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، كما عاد الى مؤلفات افلاطون وتلامذته. ولقد برّر ذلك في احدى رسائله، ممّا يدلّ دلالة واضحة على أن ثمَّة من وجّه إليه النقد بسبب اهتمامه بافلاطون وسواه من الفلاسفة. ولم يتوقف عند بعض محاولات التجريح، بل تابع طريقه مواظباً على دراسة شتَّى المدارس الفلسفية. امّا الدروس التي كان يلقيها على تلامذته فكانت تتناول الجدلية والفيزياء والرياضيات والجبر والهندسة وعلم الفلك، زيادة على دروس الفلسفة واللاهوت. وعندما اضطّر الى مضاعفة عدد الدروس، عهد الى تلميذه «هيراكلاس» بالصفوف الابتدائية واحتفظ لنفسه بالصفوف العليا. غير أن رحلاته العديدة قطعت عليه مجرى تعليمه، خصوصاً عندما ذهب الى روما بدافع من شوقه لرؤية تلك الكنيسة الرومانية القديمة، كما يذكر ذلك المؤرخ «اوسابيوس القيصري» في تاريخه الكنسي، وكان ذلك سنة ٢١٢، حيث التقى الكاهن اللاهوتي الكبير «هيبّوليتوس الروماني». كذلك دُعي الى البلاد العربية سنة ٢١٥ لتعليم الحاكم الروماني الدين المسيحي، نزولاً عند رغبة هذا الأخير. ومن ثم ذهب الى مدينة انطاكية العظمى، نزولاً ايضاً عند رغبة «جوليا ماميّا»، والدة الامبراطور «اسكندر ساويروس»، التي أحبّت سماعه

والاصغاء إليه. وعندما نهب «كراكلا» مدينة الاسكندرية وأحرقها سنة ٢١٦، وأقفل جميع المدارس، ذهب اوريجانوس الى فلسطين. وهناك طلب منه أساقفة قيصريّة فيلبّوس واورشليم وجميع مدن فلسطين أن يلقي محاضرات ومواعظ في كنائسهم، الأمر الذي دفع بأسقف الاسكندرية لاستعجال رجوعه نظراً الى أنه كان مستغرباً في ذلك الزمان أن يتولّى علمانيّ مهمّة الوعظ في الكنائس. فأطاع اوريجانوس رئيسه وقفل راجعاً الى الاسكندرية حيث عاود تدريسه واهتمامه بمدرسته. وفي تلك المرحلة الزمنيّة تعرّف الى رجل ثري يدعى «أمبروسيوس» وهو غنوصيّ قديم أعاده اوريجانوس الى الايمان القويم ووجه إليه بحثاً دعاه: «حول الصلاة». وتقديراً لاوريجانوس من قبل «أمبروسيوس» وضع بتصرّفه سبعة Tachygraphes، او ما يسمّى بلغة اليوم «مختزلين» يتناوبون ساعة بعد ساعة لكتابة ما يمليه عليهم، بالاضافة الى عددٍ مماثل من النسّاخ والفتيات للقيام بعملية «تبييض» اعمال المعلم وتوزيعها. وبدأ بتفسير الكتب المقدسة وبمؤلفاته اللاهوتية والفلسفية.

وفي سنة ٢٣٠ وقع حادث مؤسف وضع حدّاً لنشاط اوريجانوس في مدرسة الاسكندرية. فخلال زيارة قام بها الى فلسطين، وهو في طريقه الى اليونان، نزولاً عند رغبة أسقفه «ديمتريوس» ، لدحض الهرطقات التي

كانت متفشيّة هنالك، قرّر اسقف اورشليم «اسكندر» واسقف قيصرية «تيوكتيست» ان يرفعاه الى درجة الكهنوت كي يسهّلا عليه مهمّة الوعظ والارشاد، فقامت في الاسكندرية، على الفور، ضجّة كبرى، اعتمد فيها اسقفها لهجة عنيفة جداً، معتبراً ان كهنوته ليس قانونياً، نظراً الى أنَّه خصيّ. التاريخي «اوسابيوس القيصري» اعتبر أن موقف «ديمتريوس» ناتج عن غيرته من أوريجانوس الذي أصبح انساناً محترماً ومشهوراً ومقدّراً من الجميع. ثم عقد «ديمتريوس» مجمعاً مصغّراً وحرم اوريجانوس من شراكة كنيسة الاسكندرية. وفي سنة ٢٣١ عقد مجمعاً آخر عزله فيه من الكهنوت. وبعد موت «ديمتريوس» سنة ٢٣٢، تسلّم الاسقفية مكانه «هيراكلاس»، تلميذ أوريجانوس سابقاً، فعاد الى الاسكندرية، ولكن «هيراكلاس» عاد وجدّد الحرم، الشيء الذي دفع أوريجانوس لمغادرة الاسكندرية نهائياً، والذهاب الى قيصرية فلسطين، حيث ابتدأت المرحلة الثانية من حياته. ولم تكن طبيعة أوريجانوس المسالمة، ولا زهده بالامجاد الدنيويّة، يسمحان له بالتصدّي الى من يحاولون الاساءة اليه، فاكتفى بالردّ بأن اختار لاقامته، بصورة نهائية، مكاناً في قيصريّة فلسطين، الى الشمال الغربي من مدينة اورشليم. وهناك أسّس مدرسة وعاد الى التدريس الذي لم يعد يستطيع مزاولته في الاسكندرية بعد أن اصبح تلميذه القديم ومعاونه

«هيراكلاس» اسقفاً بعد «ديمتريوس»، كما ذكرنا ذلك سابقاً. وبدل أن يتقرّب من استاذه ويرفع عنه الحيف، اعتمد اسلوب سلفه، مشدّداً على التدابير المتخذة بحق معلمه. وكعادته، ظلّ أوريجانوس مترفّعاً عن طرق الكيد والثأر لشخصه، وانصرف الى التعليم والوعظ اليومي، واضعاً اللمسات الأخيرة على مؤلفاته.

في تلك السنوات كانت قيصرية فلسطين المركز الفكري الأكثر اشعاعاً في المسيحية جمعاء. وقد توصل أوريجانوس الى النضوج العقلي الكامل ضمن إطار ايمانه العميق. فهو اللاهوتي، صاحب الشهرة العالمية، الذي يستشيره الجميع ويقيمون لرأيه الوزن الكبير. إلاّ أن بعض فترات غيابه عن فلسطين قطعت مساره في المجالات التي اختارها لنفسه، اذ اضطّر للذهاب الى البلاد العربية كي يضع حدّاً نهائياً لمجادلات لاهوتية طالت أكثر مما ينبغي لها أن تطول. ولقد اكتشف سنة ١٩٤١، قرب مدينة القاهرة، برديّ له علاقة وثيقة باعمال أوريجانوس واسفاره. وفي هذا البرديّ عُثر على نصّ الجدل الذي قام في البلاد العربية بينه وبين اسقفها «هيراكليد». وكان أوريجانوس دعي بصفته كخبير. ولقد وجّه الى الأسقف بعض الأسئلة، ثم توسّع مجادلاً في الطريقة التي ينظر من خلالها الى علاقة الآب بالابن. فالنص احتفظ باسلوب الحوار المباشر الذي أظهر فيه

أوريجانوس ذوقاً ورقة متناهيين. وسنتوسع بذلك لاحقاً.

وفي سنة ٢٥٠ اندلعت واحدة من أكبر المجازر التي تعرّض لها المسيحيون على يد الامبراطور «داسيوس» الذي كان يقصد، بنوع خاص، الرأس المفكر في المسيحية، أعني الاساقفة والعلماء. لم يستطع أوريجانوس النجاة من المطاردة، ولطالما استعدّ ليوم الاستشهاد هذا. فتراكم السنين لم يقوَ على إطفاء شعلة التضحية في قلبه، بل زادها اشتعالاً. ولقد تحمَّل أوريجانوس، حسب رواية المؤرّخ «اوسابيوس القيصري»، القيود والتعذيب بالحديد، والسجن في غياهب الزنزانات. يقول «اوسابيوس»: «كم كانت كبيرة عذابات هذا الرجل التي تحمّلها من أجل المسيح. سلاسل حديدية، تعذيب جسد، نكالٌ بالحديد، عذابات في غياهب الزنزانات. فلمدة ايام وضعت رجلاه في اتون النار، فتحمّل ذلك. لا بل كان يؤاسي الذين يتعذّبون معه. ولقد حاول الحاكم أن يستميله، غير أنَّه كان صامداً في ايمانه الى آخر دقيقة» (اوسابيوس القيصري: التاريخ الكنسي، ٦، ٣٩،٥). ولم تطل مدّة عذابه التي احتملها بشجاعة الملائكة والشهداء، حتى توفّاه الله سنة ٢٥٣، عن عمر ٦٧ سنة تقريباً، في مدينة صور، جنوبي لبنان، حيث شُيّدت كنيسة فوق ضريحه.

٣

اوريجانوس صاحب المؤلفات الألفين.

إن الفهرس البيبليوغرافي الموضوع بدقة من قبل اللاهوتي «كروزل» يتحدّث عن أورجيانوس من حيث كونه كاتباً ومعلماً وواعظاً، دون أن يأتي على ذكر الانسان في الكاتب والمعلم والواعظ، مع ان الانسان في أوريجانوس يبقى طليعة اهتماماتنا. فاعماله الالفان تهمّنا بقدر ما تحدّثنا عن الانسان فيه، اذ لم يكتف بان يكون عقلاً مفكراً، بل كائناً من لحم ودم، كائناً من نور ونار. فأوريجانوس تميّز بتحفّظ حيي خجول حول كلّ ما يتعلّق بايمانه وحياته، محتفظاً بمسافة أبقاها دائماً بينه وبين الآخرين. ولقد اختلف، في هذا المعنى، عن «كليمنضوس» الفاتن الذي يجذب إليه العقل والقلب. وأوريجانوس ليس خطيباً، بل نراه يجهل الفن ويتجاهله. يخفض صوته كي لا يدنو من البلاغة والطلاقة. يتكلّم همساً وكأنّه يبوح دوماً بما يقول داخل الخيمة حيث الله يجمع ويتحدّث. فهذا الاسكندري لا يبهره وهج الكلمة وسحر التعابير التي طالما امتلك ناصيتها «غريغوريوس النزينزي» و «اغوسطينوس». فصوته مغلّف، وناره مخبّأة تحت الرماد. يقول فيه اللاهوتي المعاصر Urs Von Balthasar: «صوت الاسكندري يشبه رياح الصحراء

الجافّة المحرقة التي تعبر احياناً بدلتا النيل، تحمّله حرارة ليست من الرومانسيَّة بشيء، بل هو نفث طاهر، نفث من نار». وغالباً ما يقارن بعض المؤرخين بينه وبين القديس يوحنا المعمدان. وفي الواقع، فان تجرّده عن المادة ذهب الى حدّ الفاقة والعوز. إنّه كائن ناريّ، يحلو له ان يختفي، ان يبتعد، أن يدخل عتمة المتحاورين في قلب كنيسة الله. لا يحاول التسلّل الى القلوب، بل يكتفي، مثل يوحنا المعمدان، بتعبيد طريق الربّ، اذ وجد نفسه في يوحنا بعد أن أحسَّ بالتشابه الكبير بينهما. ولا بُدَّ من سماع دقات قلب هذا المعلم الخجول عندما ينصرف الى شرح الكتاب المقدس. والغريب ان أوريجانوس لم يظهر على طبيعته إلاّ حين يصلّي او يعظ او يحمل «الكلمة»، مثل خبز «الافخارستيا»، الى الجائعين الذين يصغون إليه. وقد يباغته مستمعوه مسترسلاً في الصلاة. شفتان ترتجفان عند الاطراف بصورة غير منظورة، ثم يستبدّ به انفعال عميق. من أصغى إليه شعر بفؤاده يرتعش بالحنان الالهي في «جسد التواضع هذا»، أي في كلمات الكتاب المقدس واجزائه. «معجزة تكاثر الخبز» تتجدّد دائماً. سرّ التجسّد يستمرّ عند أوريجانوس ويدخله حالة النشوة والذهول. فطبيعيٌّ اذن ان نعجز عن تعداد اعماله. قسم من تلك الأعمال ضائع، بينما يبقى من القسم الثاني غير ترجمات وبعض المقاطع. ورمال مصر تعيد إلينا، من

وقت لآخر، بعض القصاصات. نذكر من أعماله «Les Hexaples» او «التوراة المسدّسة»، اي المكتوبة بلغات ستّ. انه عمل ضخم للغاية قدّم فيه أوريجانوس على ستة أعمدة، باحرف عبرية ويونانية، النص العبري والترجمات اليونانية الأربع للتوراة. ومن المؤكّد أن هذا العمل لم يُنقل الى صورة غير صورته الأصلية، والنسخة الوحيدة عنه بقيت في قيصريّة فلسطين عند غزو الـ Sarrasins لها في القرن الرابع بشهادة «اوسابيوس القيصري»، وشهادة القديس «ايرونيموس»، اللذين اطّلعا على تلك النسخة.

وهناك عملان آخران لا علاقة لهما مباشرة بالكتاب المقدس. الاوّل هو كتابه «ضدّ سيلسوس» الذي يرفض فيه أوريجانوس تعاليم الفيلسوف الوثني، ويعظم فيه العقيدة المسيحية ويدافع عنها. امّا كتابه الثاني فهو «في المباديء أو الأسس» الذي كتبه في شبابه ما بين سنة ٢٢٥ وسنة ٢٣٠، ويعتبر هذا الكتاب اوّل محاولة من نوعها تختصر تاريخ اللاهوت المسيحي، وفيه يبدو المؤلف متأثّراً، الى حدٍ بعيد، بفلسفة افلاطون. وفي هذا العمل بالذات يدعو أوريجانوس الى التجديد او البعث الكوني، الشيء الذي عرّضه للنقد في الأجيال اللاحقة. وهنا لا مفرّ من الاشارة الى ان الافكار التي جعلته هدفاً للانتقاد اختفت تماماً من مؤلفاته واعماله

التي أنجزها في مرحلة النضوج.

امّا فيما يتعلق بموقعه من شروحات الكتاب المقدس، فانه كان دائماً في الصدارة. فالقسم الأوفر منها يركز على الشروحات والتعليقات الكثيرة. انها ملاحظات او مواعظ وارشادات مدوّنة تفسّر المقاطع أو التعابير الصعبة، أُلقيت أكثرها على المؤمنين في مدينة قيصرية فلسطين. ولسوء الحظ لم يسلم من الخمسماية والاربع وسبعين عظة سوى مايتين وأربعين. وامّا التعليقات فهي دراسات موسّعة، ذات طابع علمي، حول اجزاء الكتاب المقدس. غير أنَّ واحداً من التعليقات لم يصلنا كاملاً. ومضمون الدراسات يثبت سعة اطّلاعه وسهولة خوضه في كلّ المواضيع كاللاهوت والتاريخ والفلسفة، واخيراً، لا آخراً، فقه اللغة. وهو في ذلك لا يتوقف عند المعنى اللفظي، بل يحاول الوصول الى محتوى الكلمة الروحي ومعناها عن طريق الرمزية او المجازية التي لجأ إليها قبله القديس «كليمنضوس الاسكندري». كما لم يبقَ من مراسلاته الخصبة سوى اثنتين، يضاف إليهما الكتابان الرائعان، رغم ايجازهما، واللذان سبق ذكرهما، وهما: «الحضّ على الشهادة»، و «بحث حول الصلاة». ولقد تجنّى بعضهم على هذا العمل الجبّار لعجزهم عن ادراك جوهره. فمن هؤلاء من شوّه فكر أوريجانوس، ومنهم من وجّه إليه التهم. فعمل هذ الشهيد الكبير نابت

من تربة الكتاب المقدس السخيّة. وكلمة الله هي المنطلق الاساسي في فكره وإلهامه وحياته. لقد أدرك، بنفاذ بصيرة القديسين، أن الكتاب المقدس ليس وثيقة، بل حضور. وبقلب ملؤه الحب الكبير، كحبّ العروس في نشيد الاناشيد، يبحث عن الحضور المختبئ، وعليه ان يكتشفه رغم كلّ الصعاب. والكتاب المقدس، بالنسبة إليه، هو حقاً سّر وجود الله في العالم. إنه أعرف الجميع بالمعنى الحرفي له، وليس في العهود المسيحية القديمة من يجاريه في نشأته التأويليَّة أو الشرحيَّة، الأمر الذي ما زال يثير استغراب المعاصرين. غير ان ما يهمّ أوريجانوس، في الدرجة الأولى، شيء آخر غير التعلق بالغطاء او الرداء. يهمّه ان يلقى الكلمة المتجسّد. فهذا البحث يعلّل طريقته المجازية ويفسّرها كي تؤتي ثمارها، ناظراً الى الكتاب المقدس من خلال علاقته بسرّ التجسّد. فالنص عنده يتحدّث، من البداية الى النهاية، عن «الكلمة المتجسّد». واختراق افكار المؤلف يتطلب، فضلاً عن درسه باتقان، يتطلب الايمان، وموالفة يسوع، وصداقته الحميمة. ونصل الى الصلاة لنؤكد انها الأساس عند أوريجانوس القائل في كلامه لتلميذه «غريغوريوس العجائبي»: «عندما تنكبّ على القراءة الالهية إبحث، بعناية وايمان، عمّا يفوت الكثيرين، إبحث عن روح النصوص الالهية. لا تكتفي بان تقرع وتبحث فالصلاة هي الأهم كي تكتشف وتفهم محتوى

الكلمات الالهية».

اذن، الوعظ ومطالعة الكتاب المقدس يرتكزان، عند أوريجانوس، على الصلاة بالدرجة الاولى. والصلاة هنا بمعنى البحث عن «وجود الله» بالنسبة الى الواعظ كما بالنسبة الى الرعية. ومطالعة الكتاب المقدس، كما الوعظ والارشاد، كلها تتطلب انساناً مهيّأً وجاهزاً حيال «الكلمة الحيَّة». فالصلاة تنشر المواعظ والتعليقات بتوجّهها الى المسيح الملك والصديق والعروس. وهي تثبت عبادة وورعاً رزينين كتوأمين شجاعين، رقيقين، ومتحمّسين انفعاليين. انها بوح صوفي يجد موقعه عنده ضمن حدود غامضة من تعليقاته المتعدّدة. انها ركيزة ذكائه التوراتيّ الحدسي. فكلمة الله تظهر للبشر من خلال مجيئه إلينا ضمن العوز والتزهّد، وحتى الصلب. والمسيح المصلوب، الذي طعن قلبه بحربة على الصليب فاظهر للعالم حناناً لامتناهياً، هو الذي أعطاه الصلابة والحزم. ومنذ تلك اللحظة وجه المصلوب مسيرة أوريجانوس عبر الصحراء، وأوحى إليه بتنسك أوصله الى الشهادة، قمة العطاء.

٤
أوريجانوس وموقعه في الكنيسة

إنه واحد من أعظم عظمائها. وكلمة المسيح، بالنسبة إليه، هي شعاع مضيء ورسالة مقدسة، حملها منذ أن وعى الدين المسيحي وحاول الاقتداء بأبيه في الاستشهاد عل أسم المسيحية. إنه ابنها البار الذي عاش للدفاع عن معتقداتها في كلّ ما عمل وكتب طوال حياته. إنه احدى مناثرها، وواحد من وجوهها المشرقة عبر التاريخ. وحضور الله الذي ارتبط في الماضي بالمعبد المادي، والذي أصبح، منذ التجسّد، مقيماً في انسانية يسوع، في الكنيسة، احتلّ مكان الصدارة في مواعظ أوريجانوس. انه المفتاح الاساسي في مفهومه للعقيدة الكنسيَّة. وبهذا المعنى يقول: «إن لمس الكنيسة يعني لمس جسد المسيح بالذات». والمعمودية التي تندمج بجسد المسيح يشبّهها باتصال البشرية المباشر بيسوع. وهذه المعادلة عنده هي أكثر من قناعة. إنها مبدأ حياته وبيئته الحيوية. وبهذا المعنى يقول ايضاً: «أتمنى لو أكون ابن الكنيسة، ولا أريد أن أكون مؤسساً لهرطقة من الهرطقات، بل أتوق الى حمل اسم المسيح. أتوق الى حمل اسمٍ هو بركة على أرضنا. أرغب في أن يمنحني عقلي وتعطيني اعمالي الحق في أن ادعى

مسيحيّاً. فاذا ارتكبت خطأً بحق تعاليم الكنيسة، انا من يعتبره الجميع يمين الكنيسة؛ اذا ما اخطأت ضد قانون الانجيل، انا الكاهن حامل رسالة «الكلمة»، واصبحت مثلاً عاطلاً للكنيسة، فليت الكنيسة بأجمعها تطرحني خارجاً، انا يدها اليمنى».

إن هذا الموقف المتصلّب عنده، الذي استغربه البعض، مصدرهما شعلة تضطرم في داخله وهو يقارن الكنيسة براحاب الزانية وبمريم المجدلية. فالكنيسة ليست قديسة في نظره إلاّ لأنها تغسل خطيئتها بدم المصلوب. وعقيدة الكنيسة هذه ليست خفية ولا باطنية، فابعادها عالمية كونية لأنها تحتوي الخليقة جمعاء. والكلمة الالهي هو روح العالم، وعمله يمارس على جميع مستويات الكون ودرجاته. فسرّ الفداء يعيد الروابط بين كلّ مناطق الخليقة، والملائكة، بالتضامن مع البشر، يشاركون في صلاة الكنيسة، وأوريجانوس يصلّي بوعي كوني فريد كي يتحوّل الكون فتصبح الأرض سماء ايضاً، من خلال التجلّي الالهي فيها. وبهذا المعنى يفسّر شهيدنا اتحاد حواء الجديدة مع آدم الجديد في الكنيسة، حيث سنشرب جميعاً الخمر الالهي في فصح جديد. كما يعتبر أوريجانوس أن كل مؤمن «هو شريك في سرّ وجود الله، شريك للمسيح في الكتاب المقدس، شريك للكنيسة في الكتاب المقدس

نفسه. فالانسان، منذ خلقه، مطبوع بالرسم الالهي. وكل من وُهبَ العقل يشارك في هذا النور. والنفس هي مكان الاختيار. وكما الكنيسة، فالانسان خاطيء وقديس على حدٍّ سواء، وهو موزع بين السقوط والعودة. امّا الايمان فهو الذي يمكّننا من اكتشاف الجنّة حيث يتنزّه الله في داخلنا. وكل انسان يقتدي بالمخلّص قدر استطاعته يصبح على صورة الخالق. والصورة لا تكتمل إلاّ بتأمل الله بقلب نقي وبتحولنا الى نسخة مماثلة لله. فروح المسيح تقوم، اذا جاز لنا القول، في صورته. ونلاحظ هنا اتحاداً يفوق الوجود، اتحاداً صوفياً يستعيد اوريجانوس من اجله صوراً كالنور، والصوت، والعطر، وصورة الغذاء «الذي يحوّلنا الى الله». واخيراً، صورة الزواج، والاتحاد الشخصي الذي يتجسّد في التأمّل. اتحاد يظهّر طابع القربان، او التضحية في الحياة المسيحية. والاتحاد بالمسيح يتمّ تدريجاً بالنار، النار الطاهرة التي تطهّر الضحيّة التي هي جسد المسيح. وهذه التقدمة الداخلية، هذا التزهّد، هذا التنازل عن كلّ شيء، يصبح الثروة التي تجد تمامها في السماء، حين يبلغ الجسد شكله النهائي، ويُجمع، مفصلاً بعد مفصل، فيرنّم نشيد الشكر لله. عند ذلك تصبح الخليقة كلها مديحاً وشكراً. وهنا يكمن اللاهوت كله.

ومن يقرأ اوريجانوس يتوقف عند سحر وجود

يتسلّل الى اعماقه بطريقة لاشعورية يستحيل مقاومتها. وكل الذين اقتربوا منه وعرفوه معرفة حقيقيّة تأثروا بهذا «الرجل الفولاذي»، كما دعاه كثيرون. وأوّل من تلقّى إرثه وحافظ عليه هم اللاهوتيون «الكبادوكيون»، والقديس «هيلاريوس» الذي تعمّق في دراسته، والقديس «امبروسيوس» الذي نقل عنه، والقديس «ايرونيموس» الذي استغلّه قبل ان يهاجمه بصورة غير لائقة. فكيف تشتكيه الاجيال التي تبعته وتتهمه وهي ما تزال تحيا مما ترك لها من فكر وعلم وقداسة؟ إنه من الصعب تقويم هذا الرجل الذي يقول فيه اللاهوتي المعاصر Urs Von Balthasar: «لقد أعطى حجمه للاهوت المسيحي بعد مئتي سنة من مجيء المسيح، وقبل مئتي سنة من ولادة اغوسطينوس».

٥

أوريجانوس مؤسس مدرسة قيصرية فلسطين ورئيسها.

لقد قلنا إن مدرسة الاسكندرية قد بلغت أوج عظمتها في عهد أوريجانوس، خليفة «كليمنضوس الاسكندري». وبحق نعتبر ان أوريجانوس هو الذي أعطاها هذا البعد العالمي، نظراً لاتساع شهرته، ولعمق علمه، ولثقافته الواسعة، التي تغنّى بها العالم في ذلك الزمن. ورسائله المائة التي وصلنا القليل منها والتي اعتمدها المؤرخ «اوسابيوس القيصري» هي التي تنبئنا عن حقيقة شخصيته الفذّة وعلمه الغزير. ولو أمكن الاحتفاظ بالنص الكامل الذي كتبه «پنفيليوس القيصري البيروتي» في سجنه عن حياة أوريجانوس، والمكوّن من خمسة كتب، أضاف إليها «أوسابيوس» كتاباً سادساً، لكان في حوزتنا الكثير الكثير حول واحد من أكبر مفكري التاريخ، بدل كتاب يتيم لا يوحي بالثقة الكاملة، والمترجم الى اللاتينيّة على يد «روفّينوس». ولكن لدينا «خطاب الوداع» الذي وضعه «غريغوريوس العجائبي» عند مغادرته مدرسة أوريجانوس. وهذا الخطاب يعتبره المحلّلون وثيقة مهمّة لأنه يسلّط الأضواء على حياته فيطلعنا على نهجه التعليمي والتربوي. ولقد سبق لنا التنويه بان اوريجانوس

يختلف عن اسلافه من عظماء المسيحية في كونه لم يأتِ الى المسيح من الوثنية، بل نشأ مسيحياً في كنف عائلة مؤمنة قدّمت والدها على مذبح الشهادة. ومن المرجح أنه ولد في مدينة الاسكندرية سنة ١٨٥، او ما يقارب ذلك التاريخ. ولقد زوّده والده، الذي قضى شهيداً خلال اضطهادات «سبتيموس سويرس»، بمعلومات وافية عن الكتاب المقدس، الى جانب تعليم دنيوي علماني.

بعد هذه العودة السريعة الى نشأة أوريجانوس التي رأينا من المفيد التشديد عليها، ننتقل الى المرحلة الثانية من حياته التعليميّة. يقول المؤرخ «اوسابيوس القيصري»: سلوكه لا يختلف عن اقواله، بل هو مطابق لتلك الاقوال. من هنا، وبقوة القدرة الالهية التي ترفعه، دفع بآلاف الناس الى منافسته في هذا المجال» (التاريخ الكنسي، ٦، ٣، ٧). ويعطي «اوسابيوس» وصفاً مدهشاً ومؤثراً عن تزهده فيقول: «عاش حياة فلسفية الى أبعد حدود المستطاع، تارة بالصوم، وتارة اخرى باختصار وقت نومه، وسعى جاهداً الى افتراش الأرض دون غطاء. وثق بان علينا، قبل كلّ شيء، اطاعة تعاليم المخلص القائلة أن لا نقتني ثوبين، ولا ننتعل حذائين، وان لا نضيع الوقت في الاهتمام بالمستقبل» (التاريخ الكنسي، ٦، ٣، ٩ ـ ١٠). بهذه الروح، وبهذا العمق، ابتدأ أوريجانوس المرحلة الثانية من حياته التعليميّة في

قيصرية فلسطين اذ إنّ اسقفها لم يقم وزناً لقرار اسقف الاسكندرية، بل دعاه الى تأسيس مدرسة جديدة للاهوت في مدينته. وهكذا كان. فقد أسّس اوريجانوس المدرسة وأشرف عليها خلال ما يزيد عن عشرين سنة. امّا «خطاب الوداع» الذي ألقاه «غريغوريوس العجائبي» عند مغادرته تلك المدرسة فيثبت ان اوريجانوس تابع في فلسطين نهجه في الاسكندرية. فبعد التمهيد للفلسفة، تأتي دورة تحضيريَّة للدرس. والحق يقال إن تلك الدروس كانت تدرّب عقل التلميذ بصورة منتظمة ومتتابعة تتيح له مجال الحصول على ثقافة علمية. ولقد اشتملت الدورة على دروس في المنطق، والجدلية، والعلوم الطبيعية، والرياضيات، وعلم الفلك، واخيراً، لا آخراً، في علم الأخلاق واللاهوت. ويجدر التوقف هنا عند كون تدريس الاخلاقيات لم يقتصر على الجدل المجرّد، بل أعطى فلسفة حياة. ويروي «غريغوريوس العجائبي»، في هذا المعنى، أن أوريجانوس اعتاد أن ينصح تلامذته بمطالعة مؤلفات الفلاسفة القدامى باستثناء من ينكرون وجود الله ويتنكّرون للعناية الالهية.

وبعد ان توفّاه الله في المدينة الفينيقيّة صور السنة ٢٥٣ مسيحيّة عن عمر يناهز السابعة والستين، وقد عانى الكثير من جراء عمليات التعذيب التي تعرّض لها، كما ذكرنا ذلك سابقاً، شاء قدره ان يثير التناقضات بعد موته

كما في حياته. فلم يسبق ان تجمع حول باحث او مفكر اصدقاء بمثل عدد اصدقاء أوريجانوس، كما لم يحدث ان أثار غيره ما أثاره من عداء في بعض الأوساط المثقفة. نعم، اننا لا ننكر الأخطاء التي وقع فيها، غير انه رغم أخطائه، ولعلّ ذلك ما يغفر له تلك الأخطاء، بقي متمسّكاً بايمانه القويم المستقيم. الم يقل في مستهلّ كتابه اللاهوتي الأهمّ: «وحده هو الحقيقي، ما لا يحيد، بايّ شكل من الاشكال، عن العرف الكنسي والرسولي» (كتاب المبادئ، ٢). إنه لم يكتفِ بالقول، بل تقيّد بهذا المبدأ وطبعه بدمه في آخر حياته. على كلّ حال لنا عودة الى موقف الكنيسة الواضح منه عندما سندخل في تفاصيل افكاره اللاهوتية والفلسفية وغيرها.

٦

أوريجانوس وفلاسفة الاغريق.

ففي رسالة وجهها الى «غريغوريوس» صاحب «خطاب الوداع» ينصح اوريجانوس تلميذه بمتابعة دراساته في مجال الكتاب المقدس ولا يرى في الفلسفة غير مادة تحضيريّة: «أرجوك ان تأخذ من الفلسفة الاغريقية دروساً ذات طابع عام، دروساً من شأنها ان تعدّ للمسيحية».فأوريجانوس تأثر، بطريقة لاشعورية، بالفلسفة الافلاطونية، مفسحاً امامها مجال التأثير على لاهوته، تأثير اوقعه في اخطاء عقائدية كثيرة مثل مساندته النظرية القائلة «بالوجود القَبْلي» للنفس البشرية. اما حجر العثرة الثاني في مساره اللاهوتي فتأويله الرمزي للكتاب المقدس. من الخطأ الادعاء ان هذه الطريقة لم تكن، بالنسبة إليه، اكثر من وسيلة لاستيعاب الكتاب المقدس الذي كان، عكس ما اعتقد البعض، يكنّ له احتراماً وتقديراً عميقين. غير ان هذه الطريقة، رغم تمسّك اوريجانوس بها، ادخلت الى شرح نصوص الكتاب المقدس «ذاتانيَّة» (مذهب فلسفي يقوّم المعرفة كلها على أساس من الخبرة الشخصية) خطرة، ربما اوصلت الى الاصطلاحية والخطأ، الأمر الذي عرّض تدريسه للنقد بسرعة لم تكن متوقّعة. فالمجادلات

المعروفة تحت تسمية «المجادلات الاوريجانية» اشتدّت، بصورة خاصة، في السنوات ٣٠٠ و ٤٠٠ و ٥٠٠ مسيحية. كما اضطرّ اوريجانوس، في حياته، الى مجابهة اخصام عنيدين امثال «بطرس الاسكندري» وغيره، في حين وقف «پنفيليوس القيصري البيروتي» في صفّه يدافع عنه. واقتصرت المنازعة على نشرات لاهوتية، ولم تستدعِ تدخلاً رسمياً من قبل الكنيسة. وفي سنة ٤٠٠ احتدم الخلاف عندما هاجم تعاليم أوريجانوس كلّ من «أبيفانيوس» اسقف «سلامين»، و «تيوفيلوس» بطريرك الاسكندرية. «فابيفانيوس» أدانها في سينودس عقد بالقرب من القسطنطينية، والبابا «اناستازيوس» في رسالة فصحية. وحذا حذوهما الامبراطور «يوستينيانوس الأول»، فدفع المجمع الذي عقد في القسطنطينية سنة ٥٤٣ الى تبنّي وثيقة تتضمّن حرم بعض تعاليم أوريجانوس، وحصل الامبراطور على توقيع البابا «فيجيليوس» (٥٣٧ ــ ٥٥٥)، بالاضافة الى تواقيع مجمع الاساقفة. ولقد أدّت شدّة المنازعات، والتجاذب بين الخصوم والمؤيدين، الى ضياع القسم الأوفر من أعمال هذا المفكر العبقري. وما تبقّى لم يصلنا مدوّناً كما هو في نصّه اليوناني الأصلي، بل على شكل ترجمات الى اللاتينيّة. ويعتبر «أبيفانيوس» ان مجموعة اعمال اوريجانوس الأدبية بلغت ستة آلاف كتاب، لكننا لا نعرف سوى عناوين ثمان مئة منها،

عدّدها القديس «ايرونيموس» في رسالة وجّهها الى «پاولا». ولم يكن بامكان اوريجانوس نشر كل هذه الاعمال لولا مساعدة اصدقاء له ميسورين، وفي مقدّمهم «أمبروسيوس» المرتدّ على يده من الهرطقة «الفلانتينيّة». ولقد أتاه هذا الأخير بسبعة نسّاخ ومختزلين، وربّما أكثر، متيحاً له بذلك الفرصة كي يتابع نشاطاته الادبية.

٧

أوريجانوس مؤسّس العلم التوراتي

إن القسم الأوفر من أعمال أوريجانوس الأدبية مكرّس للتوراة، مما جعله يستحق، عن جدارة، لقب «مؤسّس العلم التوراتي». فكتبه الستة المتعلقة كلها بالتوراة هي أول محاولة وضع نص نقدي للعهد القديم. وهذا العمل كان عملاً هائلاً وقف أوريجانوس حياته كلّها عليه.

وكما سبق وقلنا، إنه وضع في ستة أعمدة متقابلة النصّ العبري للعهد القديم، وكذلك النص اليوناني، بطريقة تتيح مجال تركيز اسلوب اللفظ حسب الترجمات اليونانية التي قام بها اليهودي «أكيلا» ايام الامبراطور «ادريانوس»، واليهودي «سيمّاك» المعاصر للامبراطور «سبتيموس سويرس»، والترجمة «السبعينيّة» المعروفة، وأخيراً ترجمة اليهودي «تيودوسيان» حوالي سنة ١٨٠ مسيحيّة. كما ان المؤرخ «اوسابيوس القيصري» يذكر أن أوريجانوس قد وضع كتاباً آخر في طبعةٍ مقتصرة على النص اليوناني في ترجماته الأربع، دون النص العبري. ولكن، مع الأسف، إن هذا العمل الضخم لم يبقَ منه سوى مقاطع صغيرة. والواضح ان أحداً لم يقم باعادة نسخها، وبقيت خلال اجيال متعاقبة

في مكتبة قيصرية فلسطين بتصرّف العلماء. وفي تلك المكتبة اطّلع القديس «ايرونيموس» على العمود الخامس من الكتاب الذي يتضمّن نص الترجمة «السبعينيّة» الذي اعيد طبعه في عدّة نسخ، منها نسخة باللغة السريانية شبه كاملة تعود ترجمتها الى القرن السادس مسيحي. وانه لمن الخطأ الذهاب الى ما ذهب إليه البعض في كون عمل اوريجانوس قام على الترجمة «السبعينيّة» وحسب، دون التحقيق بالنصوص الأخرى، وهذا ما يؤكّده العالم الايطالي «جيوڤاني ميركاتي» الذي اكتشف في طرس (رقّ ممسوح ثم مكتوب عليه ثانية) من المكتبة الامبروسيّة، في مدينة «ميلانو»، مقاطع من نسخ السداسية تتضمَّن المزامير، ما عدا العمود الاول. كذلك وجدت ورقتان من القَضِم (ورق دقيق من جلد العجل يكتب عليه) في غرفة المهملات التابعة للكنيس اليهودي في القاهرة، ومحفوظتان في مكتبة جامعة «كامبريدج»، عليها المزمور الثاني والعشرون من المزامير، بالاضافة الى مقتطفات محفوظة في بعض المخطوطات اليونانية للعهد القديم وعند عدد من آباء الكنيسة.

ولو عدنا الى القديس «ايرونيموس» في رسالته الثالثة والثلاثين الى «پاولا» لوجدنا ان أوريجانوس كتب الشروحات حول سفر الخروج واللاويين ونبوءة اشعيا

والمزامير وسفر الجامعة وانجيل القديس يوحنا. ومن هذه كلها لم تصلنا ايّة نصوص كاملة. ولقد اصدر العالمان «ديوبونيوتس» و «هارناك» نصّاً ادّعيا انه من شروحات اوريجانوس حول رؤيا القديس يوحنا، لكن النص لا يستحقّ التسمية لأنه لا يتضمّن غير تنسيق ملاحظات مختلفة حول مقاطع صعبة من الرؤيا مأخوذة عن «كليمنضوس الاسكندري» و «ايريناوس» و اوريجانوس نفسه في وقت معاً. كذلك اكتشفت مقاطع من الشروحات جمعها القديسان «باسيليوس الكبير» و «غريغوريوس النزينزي» في كتاب اعتبر كمختارات من مؤلفات اوريجانوس. امّا العظات فيتولّى فيها اوريجانوس شرح مقاطع مختارة من التوراة، عظات وارشادات ألقاها في المحافل الليتورجية. ولقد اعتاد ان يعظ، حسب قول المؤرخ «سقراط» الذي يذكر ذلك في كتابه «التاريخ الكنسي» (٥، ٢٢)، يومي الأربعاء والجمعة، مع انّ مؤرخه «بنفيليوس القيصري البيروتي» يؤكد انه كان يعظ يومياً ودون انقطاع. الى ذلك، فقد ترك عظات شبه كاملة حول مجموعة الكتب المقدسة. ورغم هذا الخصب لم يبقَ من النص اليوناني غير عشرين عظة فقط تناول فيها حياة النبي «ارميا»، وواحدة حول النبي «صموئيل». وتجدر الاشارة هنا الى انه اكتُشِفت، منذ سنوات، مقاطع يونانية من القسم النهائي من العظة الخامسة والثلاثين عن القديس «لوقا»،

والعظات الخمس والعشرين حول القديس «متى». وثمّة ترجمة لاتينيّة قام بها «روفّينوس» تحتفظ بست عشرة عظة حول سفر التكوين، وثلاث عشرة حول سفر الخروج، وست عشرة حول سفر اللاويين، وثمان وعشرين حول سفر العدد، وخمس وعشرين حول سفر يشوع، وتسع عظات حول سفر القضاة، وتسع عظات حول سفر المزامير. وننوّه هنا بترجمة لاتينيّة، ندين بها للقديس «ايرونيموس»، تنقل الينا عظتين اضافيتين حول نشيد الاناشيد، وتسع عظات تناول فيها اوريجانوس النبي « اشعيا»، واربع عشرة عظة تناول فيها النبي «حزقيال». والأهم من هذه كلها خمس وثلاثون عظة من الانجيل والقديس «لوقا». ولقد احتفظ القديس «هيلاريوس» اسقف مدينة «بواتييه» في فرنسا بمقاطع مترجمة الى اللاتينية من العظة الخامسة والعشرين حول سفر «ايوب»، كما احتفظ مؤلف مغمور بواحدة عن «صموئيل» النبي باللاتينية ايضاً. يبقى ان حجم الخسارة كبير جداً رغم حصولنا على هذه العظات التي يضاف إليها عدد ضئيل جداً اذا ما قيس بحجم العمل الجبّار. فمن عظات بلغ عددها ٥٧٤، لم يبقَ اكثر من عشرين في النص اليوناني الأصلي. ومن ٣٨٨ عظة لا نملك اليوم ترجمة واحدة. ولكن يجدر التوقف هنا عند أهمية العظات المتبقية، رغم قلّتها، لأنها تلقي ضوءاً جديداً على شخصية المؤلف، فنراه يسعى الى الكتاب المقدس

ليستمدّ منه غذاءً روحياً يكون قدوة للمؤمنين وخيراً للنفوس. فكتاباته اذن هي من صميم تاريخ الروحانية اكثر منها علماً توراتيّاً. والغريب، الداعي الى الدهشة، ان مساهمة اوريجانوس في هذا المضمار أُهمِلَتْ إهمالاً خطيراً إلى أن جاء العالمان «ڤولكر» و «ليسك» ليلفتا الى هذه الكنوز المدفونة. فالاسلوب، والخط العام، والشكل الخارجي، عناصر ثلاثة تتميّز عند اوريجانوس بالبساطة، ولا نجد فيها أثراً لمظاهر التصنّع والتنميق. اسلوبه أشبه بالمحادثة. ويحلو لنا هنا التوقف عند اكتشاف حديث في مدينة «تورا» سنة ١٩٤١، والمتضمّن «الحوار مع هيراكليدوس»، بالاضافة الى عظتين كانتا ضائعتين حول موضوع «الفصح»، ولو ان نصّهما جاء مشوّهاً ولم تتم إعادة كتابته ونشره بعد. وانطلاقاً من مقاطع نشرها العالم «نوتن» يتبيّن لنا ان العظتين المذكورتين تستحقان التوقف عندهما. ففي العظة الاولى يرفض اوريجانوس أصل الكلمة الشعبية التي كانت سائدة آنذاك والتي تعتبر ان لفظة (Pascha) الفصح مستمدَّة من لفظة يونانية تعني «التألّم»، وهو أصل اللفظة المعتمدة من القديس «ايريناوس»، و «ترتوليانوس» و«هيبوليتوس الرومانى». بينما يؤكد اوريجانوس ان التفسير الصحيح، التفسير الوحيد لكلمة (Pascha) مصدره كلمة عبرية تعني «عَبَرَ»، وهي المطابقة لكلمة يونانية تعني «عبور». فالفصح في نظره هو عبور

المسيحيين من الظلمات الى النور.

أمّا في ما يختص بالتعليقات، فان اوريجانوس قد بذل جهداً كبيراً كي يقدم شرحاً علمياً للكتاب المقدس، حيث نجد مزيجاً عجيباً وخارقاً من الاشارات الفلسفية الحرفية المطابقة للنص، والاشارات التاريخية، فضلاً عن ملاحظات لاهوتية وفلسفية عامة. فلقد اهتمّ اولاً، وقبل كلّ شيء، بالمعنى الصوفي، وليس بالمعنى الحرفي. والمعنى الصوفي هذا نكتشفه من خلال تطبيقه الطريقة الرمزية او المجازية. وبالرغم من بعض الاخطاء في التفسير، فلقد استوعب المعنى العميق للكتب التوراتية، استيعاباً يدلّ على امتلاكه ناحية الاختراق الروحاني الذي يفتقر إليه عدد كبير من الكتّاب الكنسيين السابقين. ولسوء الحظ، فان معظم عظات اوريجانوس، على اهميتها، ضاعت ولم يبقَ منها شيء على الاطلاق. فمن شرحه للقديس متى الذي ألّفه سنة ٢٢٤ في قيصرية فلسطين لا نملك باللغة اليونانية سوى ثمانية كتب من أصل خمسة وعشرين كتاباً، وهي الكتب من العاشر الى السابع عشر التي تفسّر الفصول من الثالث عشر الى الثاني والعشرين. وهناك ترجمة مغفّلة تعوّض، الى حدٍ ما، هذه الخسارة وتتضمّن الشرح الذي قدّمه اوريجانوس عن القديس متى كاملاً.

اما عن القديس يوحنا فلم يصلنا سوى ثمانية كتب

من اصل اثنين وعشرين كتاباً، اهداها المؤلف الى صديقه «امبروسيوس». ومن المرجّح ان يكون اوريجانوس دوّن الأجزاء الأربعة الأولى في الاسكندرية خلال سنتي ٢٢٦ و ٢٢٩، والكتاب الخامس خلال تجواله في الشرق خلال سنتي ٢٣٠ و ٢٣١، أمّا الكتاب السادس فقد اوقف العمل فيه بسبب نفيه بعد ذلك التاريخ الى ان اكمله مع الكتب الباقية في قيصرية فلسطين. ويعتبر هذا العمل مهمّاً جداً بالنسبة الى دراسة صوفية اوريجانوس، وبالنسبة الى مفهومه للحياة الروحية الداخلية.

وامّا شرحه لرسالة القديس بولس الى الرومانيين فقد احتلّ خمسة عشر كتاباً لم يتبقَّ منها سوى مقاطع من النص اليوناني الأصلي، موجودة على رقٍّ بردي اكتُشف في «تورا» بالقرب من القاهرة سنة ١٩٤١، وتعود الى مجموعة القديس «باسيليوس الكبير»، كما اكتشفت مخطوطة للتوراة في جبل «آتوس» في اليونان على يد العالم E. Von der Goltz. ولدينا من هذه الكتب ترجمة غير دقيقة تعود الى «روفّينوس» لا تتضمّن سوى عشرة كتب. ومن الواضح ان التعليقات على الرسالة الى الرومانيين سبق تدوينها التعليقات على انجيل القديس متى، وتعود ربّما الى سنة ٢٤٤.

ومن الدراسات والشروحات والتعليقات العديدة التي

خصّ بها أوريجانوس العهد القديم بقي لنا قسم من تعليقه على كتاب نشيد الاناشيد، وهي الكتب من الاول الى الرابع، ضمن ترجمة لاتينية «لروفّينوس»، يعود تاريخها الى سنة ٤١٠ مسيحية. ولعلّ اوريجانوس ألّف الكتب الخمسة الاولى في «أثينا» حوالي سنة ٢٤٠. امّا الخمسة الاخرى فلقد انجزها بعد وقتٍ قصير في قيصرية فلسطين، كما يذكر ذلك «اوسابيوس القيصري» في «التاريخ الكنسي» (٦، ٣٢، ٢). ويعتبر القديس «ايرونيموس»، الذي ترجم اثنتين من عظات اوريجانوس حول نشيد الاناشيد، هذا الشرح بمثابة العمل الأوفى والأهم في شرح الكتاب المقدس الذي قام به الاسكندري الكبير. كما انه يرى في الملك «سليمان» صورة عن المسيح، حسب التفسير الرمزي الذي قدّمه اوريجانوس. وفي العظتين المتبقيتين من ترجمة القديس «ايرونيموس» فان العروس هي صورة عن الكنيسة، عكس ما نجده ضمن الشروحات الموجودة في ترجمة «روفّينوس»، والذي يعتبر ان عروس المسيح هي نفوس المسيحيين بالذات.

٨

أوريجانوس المدافع عن العقيدة المسيحية.

لقد عمل طويلاً في هذا المجال، وأهم منافحة له في الدفاع عن العقيدة المسيحيّة ودحض مزاعم كلّ الذين أرادوا بها شرّاً هو بحثه المسمّى «ضد سيلسوس» حيث يضحد ما سميّ بـ «الخطاب الحقيقي»، وهو هجوم على المسيحية كتبه الفيلسوف الوثني «سيلسوس» حوالى سنة ١٧٨ مسيحية. لقد اختفى كتاب «سيسلوس»، ولكن يمكننا اعادة جمع فصوله من خلال الاستشهادات التي اوردها اوريجانوس.

لقد توهّم «سيلسوس» ان بامكانه اقناع المسيحيين بالرجوع الى الوثنية اذا ما قضى على ما لديانتهم من احترام وتقدير في اعينهم. وهو في ذلك لا يستند الى الشائعات الشعبية وما فيها من نميمة حقيرة، بل درس الكتاب المقدس وعدداً كبيراً من المؤلفات المسيحية، وعرف تمام المعرفة بماذا يختلف الغنوصيون مع الكنيسة نفسها. هكذا عرف «سيلسوس» بانه فيلسوف وثني وخصم عنيد، أظهر مهارة خطيرة ولم يترك حجّة ضد الايمان إلاّ ولجأ إليها. لقد هاجم الايمان المسيحي بادئ ذي بدء، منطلقاً من اليهودية خلال محاورة لخّص

فيها أحد اليهود اعتراضاته على المسيح، ثم هاجم العقيدة المسيحية واليهودية في آن، وهزأ من فكرة المخلّص، وأعلن، من خلال انتمائه الى مدرسة افلاطون، تفوّق ديانة الاغريق وفلسفتهم. ثم تعرّض بالنقد للانجيل المقدس، وبنوع خاص لكلّ ما يتعلّق بقيامة المسيح، معتبراً ان الرسل واتباعهم هم الذين اخترعوا تلك الخزعبلات. ومع ذلك، فانه لم يرفض جميع تعاليم المسيحيّة رفضاً مطلقاً. فالخلقية المسيحية، والعقيدة المرتبطة «باللوغس»، أعني بالكلمة الالهي، تجدان عنده احتراماً وتقديراً ومجالاً خصباً للدرس. ولقد وافق الفيلسوف الوثني على ان تحتفظ المسيحية بوجودها، شرط ان يتخلّى اتباعها عن تفرّدهم السياسي والديني، ويخضعون بالتالي لديانة روما المشتركة. وأكثر ما أقلق «سيلسوس» انه رأى المسيحيين يدخلون الانقسام الى الدولة فيضعفون الامبراطورية من جراء هذا الانقسام. وانتهى بدعوة المسيحيين الى مساعدة الامبراطور، والعمل معه، من اجل اقرار العدالة، كما حثّهم على القتال في سبيله اذا ما دعاهم الى ذلك، يحاربون تحت أمرته، ويحملون السلاح من أجله، ويتولون مهاماً في حكومة البلاد اذا ما كلّفتهم السلطات بمهام معيّنة لحماية القوانين ومساعدة الديانة الرومانية وحمايتها.

هذا «الخطاب الحقيقي» يبدو انه لم يضايق اولئك الذين توجّه إليهم به مباشرة. والكتّاب المسيحيون المعاصرون للفيلسوف «سيلسوس» لم يذكروه في أعمالهم، ولم يهتمّوا له. وما إن حلّت سنة ٢٤٦ حتى جاء «امبروسيوس»، صديق اوريجانوس، يرجوه أن يردّ على تهجّمات الفيلسوف الوثني ويفنّد ادعاءاته خوفاً من ان تسيء الى من يطّلع عليها. ولم يكن لاوريجانوس ان سمع بالخطاب ولا بصاحبه. وقد شكّك، بادئ الأمر، بضرورة دحض ما جاء فيه من عروض مخادعة ومضلّلة، واعرب عن رأيه هذا لصديقه «أمبروسيوس» بقوله: «عندما كان شهود الزور يتجرّأون على الشهادة ضدّ سيّدنا ومخلّصنا يسوع المسيح، كان يجابههم بالصمت، ولا يردّ على اتهاماتهم، معتبراً ان حياته كلّها، والاعمال التي كان يقوم بها في الاوساط اليهودية، هي وحدها دحضٌ يفوق اي جواب على شهادات الزور التي كانوا يسوقونها إليه. لذلك لا أعلم يا صديقي التقي الورع «امبروسيوس» لماذا تريدني ان اردّ على اتهامات كاذبة وجّهها «سيلسوس» ضد المسيحيين، ولماذا تريدني ان اتصدّى لتهجّماته ضد ايمان الكنائس. ألا ترى ان الوقائع، بحدّ ذاتها، هي نقضٌ واضح لادعاءاته، وان العقيدة هي جواب يفوق كلّ الأجوبة؟ إن هذا الدليل يقوى على الاقوال الكاذبة ولا مصداقية لأكاذيب ما يدّعيه في كتابه» (من المقدّمة «ضد سيلسوس»،

عدد ١). ويقول ايضاً في مكان آخر من المقدمة: «لا أعتبر، في اي حال من الاحوال، ان من يفتّش في الكتب باحثاً عن حجج يدحض بها اتهامات «سيلسوس» للمسيحيين هو ضعيف الايمان، بل أراه وقد تضاعف ايمانه وازداد رسوخاً. ولكن، بما اننا قد نجد في صفوف من نعتبرهم مؤمنين اناساً يتعرّض ايمانهم للارتجاج بفعل كتابات «سيلسوس»، وربما اننا نستطيع تفادي الخطر بالتصدّي للافتراءات المغلوطة، فقد اعتبرنا من واجبنا تلبية رغبتك والاجابة على البحث الذي ارسلته إلينا. وفي اعتقادي، إن ايّ انسانٍ كان متقدّماً في العلوم الفلسفية، لا يوافق على اعتبارٍ هذا البحث «خطاباً حقيقيّاً»، كما شاء «سيلسوس» ان يدعوه» (من المقدمة ايضاً ضد سيلسوس، عدد ٤).

اذن، هذا الكتاب لم يوجّه، برأي أوريجانوس، الى المسيحيين المجرّبين الضالعين في مسيحيتهم، بل الى الذين لم يبدأوا بعد بتذوّق ايمان المسيح، او الى الذين هم، حسب تعبير القديس بولس في رسالته الى الرومانيين، «ضعفاء في الايمان».

وتجدر الاشارة هنا الى ان أوريجانوس كان في الستين من العمر يوم كتب ردّه على «سيلسوس»، على حدّ قول المؤرخ «اوسابيوس القيصري» في كتابه «التاريخ الكنسي» (٦، ٣٦، ١). امّا الطريقة التي اتّبعها

في هذا الردّ فهي هذه: لقد حصر اسلوبه في التصدّي لحجج «سيلسوس» الواحدة بعد الاخرى. واننا نرى عنده، في سياق ذلك، قناعة دينية عميقة، وفكراً يلتقي فيه العلم والايمان الى حدٍ بعيد من التكامل يجعل الفيلسوف الوثني يتوارى في الظلام. وهكذا يجد القارئ نفسه مأخوذاً بصفاء الردّ وبوقار اللهجة وهدوئها. امّا «سيلسوس»، وهو يوناني الأصل، فهو يفاخر بفتوحات الفلسفة الهيلّينيّة، ويتظاهر بقول الحقيقة، أعني انه لا يأخذ على المسيحية منشأها البربري، بل بالعكس، إنّه يمتدح قابلية البرابرة واستعدادهم الدائم لاكتشاف العقائد. لكنه يستدرك قائلاً: إن اليونانيين هم اكثر قدرة من الآخرين على اكتشاف واثبات وتحقيق عقائد البرابرة أنفسهم. ورداً على ذلك يقول اوريجانوس: «ان الانجيل المقدس يمتلك براهين خاصّة به هي أكثر ألوهية من براهين الفلسفة اليونانية التي تثبتها الجدلية. والرسول يصف هذه الطريقة بانها التجلّي الأوفر ألوهية «للروح وللقدرة». انها تجلّي الروح بفضل النبوءات التي تمنح الايمان كلّ من يقرأها، وبصورة أخصّ في ما يتعلّق بالمسيح. وهي الى ذلك تجلّي «القدرة» بسبب الاشارات والعجائب التي أنجزت. وبالامكان اثبات هذه الحقيقة بشتى البراهين، خاصة بواسطة الآثار المتبقيّة عند الذين يتبعون، في حياتهم، مبادئ الانجيل» (من

المقدمة «ضد سيلسوس» عدد ١، ٢). فألوهية المسيح، في نظر أوريجانوس، لا تثبتها فقط المعجزات التي صنعها، ولا النبوءات التي حقّقها، بل قدرة الروح القدس الفاعلة في المسيحيين. وبهذا المعنى يقول: «ما زالت توجد بين المسيحيين آثار الروح القدس الذي ظهر بشكل حمامة. وهؤلاء المسيحيون يطردون الأرواح الشرّيرة، ويشفون مرضى كثيرين، ويتنبأون ببعض أحداث، حسب ارادة الكلمة الالهي. فبامكان «سيلسوس»، واليهودي الذي يتحدّث باسمه، ان يسخرا بما سأقوله الآن، ولكن سخريّتهم لا تحول دون اعلاني ما يتوجب عليَّ اعلانه. ربما هناك كثيرون ارتدّوا الى المسيحية ضدّ ارادتهم، ولكن الروح القدس هو الذي غيّر نفوسهم وانتزعهم من نفوذ ما يغذّونه ضدّ هذه العقيدة ودفعهم الى الاستشهاد في سبيل الدفاع عنها» («ضد سيلسوس»، العدد ١، ٦٤). اذن، الايمان بالمسيح وبالعقيدة المسيحيّة يفترضان النعمة مسبقاً، وهذا ما لم يفهمه «سيلسوس» وغيره. «فكلمة الله، حسب رسالة القديس بولس الاولى الى القورنثيين (٢، ٤)، تعلن ان الوعظ والارشاد، مهما كانا حقيقيين وخليقين بالثقة بحدّ ذاتهما، لا يكفيان للتأثير على القلب البشري. وحدها القدرة الالهية التي يعطيها الله للواعظ، الممزوجة بالنعمة، هي التي تعطي ثماراً لكلام مواعظه. ووحدها قدرة الله هي التي تفسّر ما يحدث عند الذين

يتلفظون بكلام فعّال. ولقد جاء على لسان النبي في المزمور السابع والستين: «سيعطي السيد الذين يكرزون باسمه أن يتكلّموا بقوّة». وحتى لو سلّمنا اننا قد نعثر عند اليونانيين على عقيدة مشابهة للعقيدة الموجودة في كتبنا المقدسة، فانها عقائد لا تمتلك القدرة على اجتذاب النفوس ودفعها الى عيشها» («ضد سيلسوس»، العدد ٦، ٢). اذن، باختصار، فان فعل الروح القدس هو اساسي في العقيدة المسيحيّة.

امّا على الصعيد السياسي، فتجدر الاشارة هنا إلى انه من المفيد التوقف عند جواب أوريجانوس، مفنّداً مزاعم «سيلسوس» حول الموقف من السلطة المدنية. فالعلاقة الوثيقة التي تربط بنية الامبراطورية الرومانية بالوثنية هي التي أرغمت المسيحيين على اتخاذ موقف متحفّظ حيال كلّ ما له طابع سياسي. «سيلسوس» يشدّد على القانون وعلى سطوة السلطة المدنية. امّا اوريجانوس فيلفت، في المقابل، الى كون إطاعة السلطة المدنية ليست واجبة إلاّ بالقدر الذي لا تتعارض فيه مع الشريعة الالهية. وعندما يتباهى «سيلسوس» بوطنية شديدة، يبدو اوريجانوس وكأنّ العالم كله هو موطنه. فتاريخ الأمم والامبراطوريات يختصر عنده باهتمام الله بالبشرية جمعاء. إنه في ذلك، أعني اوريجانوس، متأثر بفلسفة افلاطون الذي لم يَرَ أن هدف الدولة ينحصر في اضطراد

عظمتها الذاتية، بل باتساع الحضارة والثقافة. لذلك يرفض اوريجانوس فكرة السعي الى استمالة السلطات الزمنيَّة. وفيما يقول «سيلسوس» ما معناه: ماذا يضير ان نكسب رضى السلطات على الارض بما فيه رضى الامراء والملوك البشريين، فهؤلاء نالوا سلطاتهم عن طريق الآلهة، يجيب اوريجانوس انه ثمة كائن واحد يتحتَّم علينا ان نراعيه ونكسب رضاه، كائن واحد علينا ان نتوسل رفقه وعطفه، ألا وهو الاله الذي يسمو فوق الجميع. واننا لننال نعمته بالتقوى وبممارسة كلّ فضيلة. واذا ارادوا رؤيتنا نبحث عن خطوة لدى كائنات بشرية بعد حظوتنا عند الله الذي يسمو فوق الجميع، فليأخذوا بالاعتبار الآتي: كما حركة الظلّ تتبع حركة الجسم الذي يلقي بها، هكذا نحن نستفيد من نعمة الله، ونمتلك ايضاً عطف الملائكة وسهرهم علينا، أنفساً وأرواحاً تتمتّع بصداقة الألوهة. علينا اذن ان نرفض، بل ان نحتقر حظوة البشر والملوك، ليس فقط في حال اضطرارنا، من اجل كسبها، الى ارتكاب الجرائم والفسق والمجون، بل اذا ما فرض علينا من اجلها الكفر باله الكون، او الحقارة والمذلّة. ذلك ان موقفاً كهذا هو غريب على الرجال الشجعان الشرفاء، ذوي البأس والشهامة الذين يسعون الى ممارسة فضيلة الشجاعة لأنها، في نظرهم، أكبر الفضائل على الاطلاق. ونحن بذلك لا نخالف شريعة الله ولا نعصى كلمته، ولسنا

مجانين الى حدّ إثارة غضب الامبراطور علينا، بل نعلم كم سيجرّ غضبه علينا من الاهانات والتعذيب، وربما أوصلنا ذلك الى الموت. ولقد قرأنا الكلمة القائلة: «فلتكن كل نفس خاضعة للقوى العليا، فما من قوة إلاّ من لدن الله. فاولئك الذين يخالفون القوى، يخالفون الله» (من الرسالة الى الرومانيين، ١٣، ١، ٢).

وخلاصة القول إن ما كتبه اوريجانوس في ردّه على الفيلسوف الوثني واسماه «ضد سيلسوس» يشكّل مرجعاً مهمّاً بالنسبة الى التاريخ الديني، إذ هو يعكس الصراع بين الوثنية والمسيحية. ويزداد هذا الدفاع الرائع عن كنيسة القرون الاولى قيمةً في كون السجال دار بين اناس متميّزين في كلا العالمين. ردّ اوريجانوس على افتراءات الفيلسوف الوثني «سيلسوس» أثار إعجاب بحّاثة المسيحيّة، في القرون الاولى، وعلمائها. كما وجد فيه المؤرخ «اوسابيوس القيصري» قوة تؤهله لأن يكون جواباً على كل هرطقات العصور اللاحقة. قد يكون في هذا الحكم بعض المبالغة، غير ان عمل اوريجانوس يؤكد اتّساع معلوماته وبعد رؤياه.

٩

أوريجانوس صاحب أوّل خلاصة لاهوتية

ان كتاب اوريجانوس «المبادئ الاولى» يعتبر المحاولة المنهجيّة الاولى الكاملة للاهوت المسيحي العقائدي، او بالاحرى هو أقدم موجزٍ لاهوتي مسيحي (Le plus ancien manuel dogmatique). إنه بحث فريد من نوعه في تاريخ الكنيسة الاولى. غير أن كل ما لدينا من النص اليوناني يقتصر على بعض مقاطع من مجموعة القديس «باسيليوس الكبير»، ومن براءتين صادرتين عن الامبراطور «يوستينيانوس الاول». ولكن هناك ترجمة كاملة باللغة اللاتينيّة قام بها «روفّينوس»، غير دقيقة، ولا يمكن ان نعوّل عليها بشكل قاطع، ذلك لأنّه (أعني روفينوس) قد نقّح الكتاب حاذفاً منه بعض المقاطع المثيرة للجدل. وهناك ترجمة اخرى حرفية قام بها القديس «ايرونيموس»، لكنها لاقت نفس المصير.

يتألف هذا الكتاب من اربعة اجزاء بامكاننا ان نضعها تحت العناوين التالية: الله، العالم، الحريّة، الوحي. فاوريجانوس اراد، من خلاله، ان يدرس النقاط الاساسية للعقيدة المسيحية، مؤكّداً على ان مصدر كلّ حقيقة دينيّة هو تعليم المسيح ورسله. ولقد جاء في مقدمة

الكتاب ما يلي: «إن الذين يؤمنون، عن قناعة تامة، أن مصدر كلّ نعمة وحقيقة هو يسوع المسيح، وان المسيح هو الحقيقة بذاتها حسب قوله: «انا الحقيقة»، هؤلاء لا يبحثون عن الحقيقة والسعادة خارج شريعة المسيح واقواله. ولا نعني هنا التعاليم التي علّمها كانسان خلال حياته القابلة للموت، بل ايضاً ككلمة الله التي نطق بها موسى والانبياء سابقاً. فكيف كان لهم ان يتنبأوا بمجيء المسيح لولا وجود كلمة الله في داخلهم؟ إنه سهل عليَّ ان اثبت ذلك من خلال الكتب المقدسة التي تؤكد ان موسى والانبياء فعلوا ما فعلوه بوحي من روح المسيح. بالاضافة الى ذلك، فان المسيح، بعد صعوده، أكمل تعليمه بواسطة الرسل حسبما يؤكد ذلك القديس بولس في رسالته الثانية الى القورنثيين، الفصل الثالث عشر، العدد ٣، حيث يقول: «هل في نيّتكم اختبار المسيح الذي يتكلّم فيَّ»؟. ويتابع اوريجانوس قائلاً: «وبما انه يوجد عند المؤمنين بيسوع المسيح آراء متباينة، ليس فقط حول بعض التفاصيل العارضة، بل حول قضايا مهمّة، فانه يبدو ضرورياً ان نتفحّص القضايا الاخرى، وان نثبت نظام ايمان محدّد مستندين الى هذه النقاط الاساسية. وبما ان التعليم الكنسي ينتقل بالوراثة الشرعية من الرسل الى جميع الكنائس حتى يومنا هذا، فانه لا يجوز ان نقبل كعقيدة ايمان غير ما لا يحيد قيد أنملة عن النهج الكنسي والرسولي» (مقدمة

الكتاب، ١ ـ ٢).

يتضح ممّا سبق ان أوريجانوس يشدّد على كون العقيدة المسيحية تستمدّ اصولها من الكتاب المقدس والتقليد المسيحي. ويلفت الى ان عقيدة الايمان هي خلاصة التعليم الرسولي، حتى ولو ان الرسل لم يقدّموا اية حجّة لدعم هذه الحقائق. اضافة الى ذلك، فان هنالك اسئلة كثيرة بقيت دون جواب وهي التي تتعلّق بأصل النفس البشرية، وبالملائكة، وبالشيطان... فكل هذه القضايا تدخل ضمن مهام اللاهوت. وبهذا المعنى يقول: «لا يغيب عن بالنا ان الرسل القديسين، في ما هم يكرزون ويبشرون بايمان المسيح، قد اظهروا للمؤمنين جميعاً، حتى لأولئك الذين بدوا أقلّ اندفاعاً من سواهم للبحث بالعلم الالهي، عدّة نقاط، اعتبروها ضرورية، محتفظين بالتأكيدات للذين استحقوا المواهب السامية التي يمنحها الروح، وبصورة خاصة الذين تلقوا من الروح القدس بالذات نعمة الكلمة والحكمة والعلم. اما بالنسبة الى ما تبقى، فقد اكتفوا بتأكيد ما هو موجود، دون ان يفسّروا كيف ولماذا، كي يتركوا لاصدقاء البحث والحكمة، في الازمنة اللاحقة، مادة يتعاطونها فتؤتي ثمارها على ايديهم» (من المقدمة، عدد ٣). اذن الواضح في هذا المقطع ان اوريجانوس يميّز تمييزاً واضحاً بين العنصرين الاساسيين في كل لاهوت، بين

التقليد والتطوير، اي بين اللاهوت العملي واللاهوت النظري. فالعقيدة المسيحية لم تكن جامدة وعقيمة، بل أبدت استعداداً للتطوّر حسب القوانين الطبيعية للنمو وللحياة. وفي هذا المعنى يقول ايضاً، في مجال حث المؤمنين على اطاعة مبدأ «استنيروا بنور العلم»، يتوجب علينا ان ننظر الى هذه المبادئ والأسس على انها القاعدة، هذا اذا شئنا ان نجعل منها كلّها مجموعة متماسكة من العقائد، الأمر الذي يتيح لنا ان نتفحّص كلّ نقطة تتعلق بتأكيدات واضحة وغير قابلة للتشكيك او الجدل، من أجل الاهتداء الى ما هو حقيقي، ثم يصار الى جمع كل هذه التشابهات والتأكيدات، سواء أكانت صادرة عن الكتاب المقدس او ناتجة عن تحليل عقلي» (من المقدمة، عدد ١٠).

وبعد ان يحدّد مهمّة اللاهوت والغاية التي سعى اليها في كتابه، يعرض اوريجانوس، في اربعة كتب: علم اللاهوت، وعلم الكونيّات، وعلم الاناسة (وهو علم يبحث في اصل الجنس البشري وتطوره واعراقه وعاداته ومعتقداته)، واخيراً علم الغائية (وهي نظرية تقول بان كل شيء في الطبيعة موجه لغاية معيّنة).

الكتـــاب الاول: يعالج هذا الكتاب العالم فوق الطبيعي، ووحدانية الله وروحانيته، وتراتبيّة الاقانيم

الالهية الثلاثة، وعلاقتها بالمخلوقات الحيّة. فالآب يفعل في كل الكائنات على السواء، والابن يفعل في الكائنات العاقلة او الأنفس، والروح القدس يفعل في الكائنات العاقلة الطاهرة المقدسة. وتأتي بعدئذٍ مناقشات حول أصل الملائكة وجوهرها وماهيتها وسببَ سقوطها.

الكتاب الثاني: يعالج هذا الكتاب قضية العالم المادي، وقضية خلق الانسان، الروح الساقطة المسجونة في جسد مادي. كما يعالج قضية خطيئة آدم، وقضية الفداء بواسطة الكلمة المتجسّد، فضلاً عن قضية القيامة والدينونة الأخيرة والعالم الماورائي.

الكتاب الثالث: يعالج هذا الكتاب قضية اللاهوت الأدبي. فحرية الاختيار عند الانسان تجعله مسؤولاً امام الله. واتحاد الجسد بالنفس يمنح هذه النفس فرصة المقاومة والانتصار. وفي هذا الصراع يستفيد الانسان من معاونة الملائكة، ومع ذلك فهو يتعرّض لاحابيل الشيطان رغم ان ارادته تبقى حرّة. انه كتاب تطبيقي لحياة الانسان اليومية.

الكتاب الرابع: يلقي نظرة شاملة على مجمل العقيدة الاساسي، مضيفاً بعض النظريات، ومعتبراً الكتاب المقدس مصدر الايمان والوحي. وفي ذلك يقول: «يبدو

لي ان الطريقة التي يجب اتّباعها في دراسة الكتاب المقدس نفسه. فسليمان يقول في سفر الامثال: «ها اني كتبت لك حكماً جليلة من المشورة والعلم لأعلمك حقيقة اقوال الحق لتردّ جواب الحق للذين أرسلوك» (٢٢، ٢٠ ـ ٢١). من هنا يتوجب علينا ترجمة افكار الكتاب المقدس في جوهره بطرق ثلاث مختلفة: فالساذج تقنعه كلمات الكتاب بحرفيتها وهي المعنى الطبيعي، والمتطور قليلاً تقنعه روحه نوعاً ما، اما الكامل فتهديه الشريعة الروحية التي تتضمّن ظلاً من الخيرات المقبلة. وكما ان الانسان يتكوّن من جسد ونفس وروح، كذلك الكتاب المقدس الذي وضعه الله كي يمنح البشرية الخلاص» (٤، ١، ١١).

فالكتاب، باجزائه الاربعة، هو خلاصة العقيدة المسيحية. ولقد لعب دوراً مهمّاً في تطوّر الفكر المسيحي. وليس مستغرباً ان تتخلّل عملاً رياضياً كعمل اوريجانوس اخطاء في الشكل كما في الجوهر حسب مفهومنا اللاهوتي المعاصر. انه يعاني من الترديد ومن نقص الترابط، اذ هو لا يستعجل ابداً البلوغ الى موضوعه الرئيسي، بل يلامس، في سياق حديثه، جميع القضايا التي تبدو له على قسط من الأهميّة. فالتركيب فضفاض بالنسبة الى ذوقنا العصري. ومع ذلك، فانه ليس من العدل المقارنة بين هذا الكتاب والكتب

اللاهوتية العلمية التي أتت لاحقاً، او كتب اللاهوت النظري المعاصرة. ان خطأ أوريجانوس الأساسي، كما ذكرنا سابقاً وكما سنرى لاحقاً، تتلخص بتأثير فلسفة افلاطون عليه تأثيراً قوياً. ولكن، كي نوفّي المؤلف حقه فلا بد من تقدير الصعوبات التي جابهته في محاولته الاولى هذه لوضع خلاصة تجمع بين كل تلك القضايا، وتنسّق بين مختلف عناصر الايمان وادخالها في إطار منهج كامل. عند ذلك نفهم بسهولة لماذا استعان بالفلسفة اليونانية لحلّ غير معضلة. اما كونه ركّز نظرياته وتأملاته على مقاطع من الكتاب المقدس ثم تولّى شرحها بصورة رمزية او مجازية، فللتأكيد على أنه لن يحيد، داخل تلك النظريات ذاتها، عن الحقيقة التوراتية، ولا عن تعاليم الكنيسة. وبالرغم من اخطائه، فان كتاب «المبادئ» لاوريجانوس يسجّل مرحلة مهمّة في تاريخ المسيحية.

١٠

أوريجانوس الحكم والمرجع في القضايا اللاهوتية.

لقد اكتشفت في «تورا»، بالقرب من مدينة القاهرة، سنة ١٩٤١، وثيقة تعود الى نهاية القرن السادس المسيحي، وهي كناية عن مناقشة حصلت بين اوريجانوس والاسقف «هيراكليدوس»، حول قضية الثالوث. إن هذه الوثيقة لم تكن حواراً أدبياً بالمعنى الحصري للكملة، بل عرضاً كاملاً لمناقشة حقيقيّة دارت بين اوريجانوس و «هيراكليدوس»، وانها لعمل لا مثيل له، ليس فقط بين مؤلفات اوريجانوس وحسب، بل وفي الادب المسيحي القديم وعبر العصور، ما عدا مؤلفات القديس «اغوسطينوس» التي تشابهها. فآراء «هيراكليدوس» حول قضية الثالوث الاقدس أثارت حفيظة الاساقفة آنذاك، فاستعانوا باوريجانوس ليعيد الامور الى نصابها. ولقد تمّ اللقاء بعيداً عن النطاق الرسمي والقانوني، داخل احدى كنائس البلاد العربية، بحضور الاساقفة وافراد الشعب، حوالي سنة ٢٤٥ مسيحية. وقد بدا اوريجانوس متمالكاً سلطته الكاملة كأحد ملافنة الكنيسة. ولم تكن المرّة الاولى التي يعقد فيها اجتماعاً او يلقي محاضرة من هذا النوع.

تفيدنا مقدمة الوثيقة ان الاساقفة الحاضرين طرحوا على الأسقف «هراكليدوس» بعض اسئلة حول الايمان، وألحّوا عليه الى ان اضطر لأن يعلن عن معتقده. وبعد ان انتهى الجميع من ابداء الملاحظات وطرح الاسئلة، تولى اوريجانوس الكلام. وهنا يبدأ نص الوثيقة. فالقسم الاول منها يتكوّن من ثلاث تفريعات: اوريجانوس يسأل «هيراكليدوس»، ثم يتوسّع بشرح تصوّره الخاص لعلاقة الآب بالابن، ويلمح اخيراً، بلطفٍ ورقّة، الى الموقف الذي يتوجب علينا اتخاذه حيال قضايا عقائدية بهذه الصعوبة. ويبدو ان «هراكليدوس» لم يكن يميل الى عبارة «إلهين» التي اوردها اوريجانوس كصيغة وحيدة تؤدي بوضوح التمييز بين الآب والابن. وهذه الصيغة، في رأي «هراكليدوس»، هي مخاطرة كبيرة توصلنا الى حد الاقرار بتعدّد الآلهة. ويلاحظ اوريجانوس خلال المناقشة قائلاً: «بما ان اخواننا يتشكّكون من فكرة وجود إلهين، فهذا الموضوع يستأهل منا معالجة مدروسة بكلّ عناية». وهنا يلجأ اوريجانوس الى الكتاب المقدّس ليبرهن كيف ان اثنين بامكانهما ان يكونا واحداً. ويعطي مثلاً على ذلك قائلاً: آدم وحواء كانا اثنين في جسد واحد، كما يقول سفر التكوين في الفصل الثاني، العدد ٢٤. ويستشهد ايضاً بالقديس بولس عندما تحدّث عن الاتحاد القائم بين الله والانسان البار قائلاً: «إن المتّحد بالرب يكون معه روحاً واحداً»

(الاولى الى القورنثيين، ٦، ١٧). ويستند اخيراً الى شهادة المسيح نفسه عندما قال: «انا والآب واحد». ففي المثل الاول الاتحاد هو اتحاد «الجسد»، وفي المثل الثاني الاتحاد هو اتحاد «الروح»، امّا في المثل الثالث، فالاتحاد هو اتحاد «الألوهة». ويكمل اوريجانوس قائلاً: «ان الهنا ومخلصنا يسوع المسيح ليس جسداً واحداً وروحاً واحداً في علاقته مع الآب، إله العالم، بل هو إله واحد معه». وهذه الطريقة في شرح كلمة الرب تتيح لكل لاهوتي مجال الدفاع عن الازدواجية الالهية، وهي ايضاً تثبت الوحدة ضدّ كفر اليهود الذين ينكرون ألوهية المسيح. ومن الأهمية بمكان التنويه هنا بان الألوهية تمثل، في نظر اوريجانوس، العامل الموحّد بين المسيح والآب، عكس ما جاء في كتابه «ضد سيلسوس» حيث يورد نصّ القديس يوحنا، الفصل العاشر، العدد ٣٠، كبرهان لاتحاد المسيح والآب، ولا يذكر سوى «وحدة في الفكر وتطابق في الارادة».

وهناك سؤال طرحه أحد الحاضرين ويدعى «ديونيسوس» حول التطابق او التماثل بين النفس والدم البشري. فردّ اوريجانوس قائلاً: هناك فرق بين الدم الطبيعي الذي يجري في عروقنا، والدم الداخلي في الانسان. فعند موت البار يغادر هذا «الدم ــ النفس» الجسد ويدخل في إلفة مع المسيح حتى قبل القيامة.

وينتهي النقاش بسؤال حول خلود النفس الذي أثاره الأسقف «فيليبّوس». فردّ اوريجانوس قائلاً: إن النفس هي مائتة من جهة، وخالدة من جهة ثانية. والأمر يتعلّق بانواع الموت الثلاثة. فالنوع الاول هو الموت عن الخطيئة. فمن يموت هذه الميتة يحيا من اجل الله. والنوع الثاني هو الموت عن الله. فمن يموت هذه الميتة يحيا من اجل الخطيئة. اما النوع الثالث فهو الموت الطبيعي الذي لا يطال النفس، بل هو افتراق النفس عن الجسد. وفي الميتة الثانية، فان النفس هي معرّضة للموت الأبدي، غير ان الانسان باستطاعته ان ينجو منها اذا سلّم ارادته لله وعمل من اجل خلاصه الأبدي.

القسم الثاني

أوريجانوس

اللاهوتي الروحاني

١

أوريجانوس ومفهومة للصلاة.

يعتبر كتاب أوريجانوس حول الصلاة رائعة فنيّة وجوهرة فكرية، صاغها بكلمات من نور ونار، حوالي سنتي ٢٣٣ و ٢٣٤، تلبية لرغبة صديقه «امبروسيوس» وزوجته او شقيقته «تاتيانا». والنص الكامل محفوظ في مكتبة جامعة «كامبريدج»، ويعود تاريخه الى القرن الرابع عشر. وهناك ايضاً مخطوط في «باريس» يعود تاريخه الى القرن الخامس عشر.

البحث مؤلف من قسمين ما عدا الفصل الاول والثاني اللذين يعتبران كمقدمة. القسم الأول، من الفصل الثالث الى الفصل السابع عشر، يتناول موضوع الصلاة بشكل عام، والقسم الثاني، من الفصل الثامن عشر الى الفصل الثلاثين، ويتناول، بنوع خاص، الصلاة الربانية «الأبانا». وهناك ملحق من الفصل الحادي والثلاثين الى الفصل الثالث والثلاثين يكمل فيه القسم الاول، ويبحث بوضع النفس والجسد وموقفهما من الصلاة، كما يبحث في الاشارات والأمكنة وتوجهات الصلاة ويعالج مختلف

انواعها. امّا الخلاصة فهي موجّهة الى «امبروسيوس» و«تاتيانا»، طالباً منهما الاكتفاء مؤقّتاً بالنص كما هو الى يوم يصبح فيه قادراً على ان يقدّم لهما ما هو أفضل واوفر دقّة وجمالاً. غير ان ظروف اوريجانوس لم تسمح له بان يفي بوعده هذا.

هذا الكتاب يبرهن عن عمق وحرارة ايمان اوريجانوس وحياته الروحية المتجليَّة بصدق وعفويّة، وقفها كلّها للصلاة والتعبّد. كما انه يعتبر اقدم بحث علمي حول الصلاة المسيحية. ففي المقدّمة يؤكّد على أن ما هو مستحيل على الطبيعة البشرية يصبح ممكناً بنعمة الله وبمساعدة المسيح والروح القدس. وهكذا الحال بالنسبة الى الصلاة. وفي الفصلين الثالث والرابع يتطرّق الى معنى كلمة الصلاة في الكتاب المقدس. ثم يجيب، في الفصل الخامس، صديقه «امبروسيوس»، على سؤاله حول استعمال صلاة الطلب وضرورتها. وردّاً على القدريين الذين ناقضوا مبادئه، والذين يعتبرون ان الله يعرف كل احتياجاتنا ولا حاجة بنا الى طلبها منه نظراً الى انه من غير المنطقي طلب نعمة ما منه تعالى لأنّه أعدّ ورسم كلّ شيء سلفاً، فان اوريجانوس يشدّد على حرية الاختيار التي وهبها الله للانسان من خلال مخطّطه الازلي، مثبتاً، بواسطة مقاطع من الكتاب المقدس، ان النفس ترتفع لترى جمال الألوهة

وعظمتها. فالاتصال المستمرّ بالله يقدّس الوجود بكامله، والصلاة تتيح لنا مجال الاتحاد بروح الرب المالئ السماء والارض. وهي لا تدّعي ممارسة ضغطٍ على الله، من اي نوع كان، لكنها تجعلنا نشارك في حياته ونتصل عبرها بالسماء. وان المسيح، كاهننا الأكبر، يعطينا في ذلك المثل الأفضل والأحبّ. انه يرفع تسابيحنا بعد ان يضمّ إليها تسابيح الملائكة، وتسابيح أنفس الموتى، وبصورة خاصة الملائكة الحرّاس الذين يحملون طلباتنا الى الله. فالصلاة تقوّي نفسنا ضدّ كل تجربة، وبنوع خاص، ضدّ الارواح الشريرة. لذلك علينا ان نتفرّغ لها في بعض أوقات من نهارنا، كما انه يجب ان تكون حياتنا كلّها صلاة. وينصح الذين يريدون ان يعيشوا حياةً روحية في المسيح ان لا يطلبوا، في صلواتهم، اشياء أرضية لا قيمة لها، بل ان يطلبوا الخيرات السماوية. وتعليقاً على العدد الاول من الفصل الثاني من رسالة القديس بولس الاولى الى تلميذه تيموتاوس يعطي امثالاً توضح انواع الصلاة الأربعة وهي: الطلب، والعبادة، والتوسّل او التضرّع، وفعل الشكران. ويلاحظ، بنوع خاص، ان صلاة العبادة يجب ان لا توجّه إلاّ الى الله الآب وحده، وليس لأيّ مخلوق في الكون، ولا حتى الى المسيح. فالمسيح نفسه علّمنا ان العبادة لا تكون إلاّ للآب. اما بالنسبة إليه (أعني بالنسبة الى المسيح) فيجب ان نصلي باسمه وحسب. وإنه

لمفروضٌ علينا ان نعبد الآب بواسطة الأبن وفي الروح القدس. ولكي يشرح اوريجانوس رأيه الخاص هذا يلاحظ أنه ليس من الطبيعي ان نصلّي لشخص يصلّي هو بدوره اذا كنا نريد ان نكون منطقيين. فالمسيح رفض ان يدعى «صالحاً» لأنّ الله وحده، في نظره، تحقّ له هذه التسمية. لذلك رفض عبادته. واذا كان يدعو المسيحيين اخوته (أعني المسيح)، فانه يعني بذلك ان يعبدوا الآب وليس شخصه هو أخوهم. وبهذا المعنى يقول اوريجانوس: «لنصلي لله، ولنتكلّم جميعاً اللغة ذاتها دون تفرقة في طريقة الصلاة. ألسنا مقسومين عندما يصلّي بعضنا للآب، والبعض الآخر للابن؟ فضعفاء النفوس، الذين يرفعون الصلاة للابن مع الآب، أو بدون الآب، وبطريقة غير منطقيّة، الا يُخطئون خطيئة الجهل؟» (الفصل السادس عشر، العدد ١). هذه النظرية، وحده اوريجانوس يجاهر بها، وهي عائدة، بدون شك، الى المفهوم التبعي «للّوغس»، كما للمذهب التوحيدي المبالغ به.

امّا القسم الثاني من الكتاب فانه يتناول صلاة «الأبانا» التي هي أقدم ما بين ايدينا. فمقدمة هذا القسم تتناول الفرق بين نصّ القديس متى ونصّ القديس لوقا، كما تتناول الطريقة التي بواسطتها يجب ان نصلّي لله. ثم يتبع تعليق مهمّ حول مطلع «الأبانا» وهي «أبانا الذي في

السموات». ويلاحظ هنا اوريجانوس ان كلمة «الآب» ليست واردة في العهد القديم بالمعنى المسيحي للكلمة. وحدهم الذين نالوا تبنّي الله لهم، وبامكانهم ان يبرهنوا بافعالهم أنّهم ابناء الله يحقّ لهم أن يرفعوا هذه الصلاة. ان حياتنا كلّها يجب ان تكون: «ابانا الذي في السموات» اذ متوجّب علينا ان نعيش بطريقة سماوية على هذه الأرض.

وبالعودة الى القسم الأوّل من بحثه حول الصلاة ينصح اوريجانوس بانه يجب ان لا نطلب الخيرات الأرضية، بل الخيرات السماوية. وهذه النصيحة تفسّر صلاة الطلب الرابعة، فيقول: «بما ان ذلك يعني، حسب البعض، انه متوجّب علينا طلب الخبز لجسدنا، فانه يحقّ لنا ان نرفض خطأهم وان نحاول فهم المعنى الحقيقي لكلمة «خبزنا اليومي». وبامكاننا ان نجيب عليهم بهذا السؤال: كيف بامكان الذي يطلب منّا ان نصلي من اجل الحصول على الخيرات السماوية، حسب رأيكم، ان يتناسى تعليمه ذلك ويأمر بان نقوم بذلك من اجل خيرات ارضية لا قيمة لها؟» (الفصل السابع والعشرون، العدد ١). فاوريجانوس يربط كلمة «خبزنا كفافنا اعطنا اليوم»، الواردة في الفصل السادس من انجيل متى، العدد ١١، وفي انجيل لوقا الفصل الحادي عشر، العدد ٣، بكلمة جوهر. فكلمة «خبزنا

كفافنا اعطنا اليوم» هي، في نظره، القوت السماوي الذي يغذّي جوهر النفس، ويعطيها الصحّة والعافية. وهذا القوت هو «اللّوغس» الذي يسمّي نفسه «قوت الحياة» او «خبز الحياة».

وفي كلامه على طرق الصلاة، فانه يعتبر ان كلّ عمل عبادة يجبَ ان يكون متوجّهاً نحو الشرق. وهذا التوجّه يبرهن على ان نفسنا يجب ان تتّجه نحو مصدر النور الحقيقي، أعني شمس الحق والخلاص التي هي المسيح.

وخلال كلّ البحث يؤكد اوريجانوس على حالات النفس المسبقة. ونتائج الصلاة تتوقف على التهيئة الداخلية. فلا يمكن اولاً ان يكون هناك عبادة حقيقية دون مقاومة الخطيئة لتطهير القلب. وفي الدرجة الثانية ان هذه المقاومة ضدّ جميع اسباب الخطيئة تتطابق كليّاً مع الجهد الدائم لتخطّي العواطف غير المرتّبة باعلان الحرب على جميع انواع الشهوات. وفي تعليقه على العدد الثاني والعشرين من الفصل الخامس من انجيل القديس متى يعلن اوريجانوس ان وحدهم اولئك الذين يتصالحون مع قريبهم بامكانهم أن يتكلّموا مع الله. وإنه لمتوجّب علينا، في الدرجة الثالثة، ان نبتعد عن كل العواطف والافكار التي بامكانها ان تعكّر صفاء نفسنا، سواء أتت من العالم الخارجي او من داخلنا. وهكذا، فان تجرّداً كهذا وحده كفيل بان يقرّبنا من الله الكلّي

القدرة. وبقدر ما تكون النفس مهيّأة، بقدر ذلك بامكانها ان تحصل على ما تطلبه من الله، وبسرعة. وان مناجاتها لله تكون على فائدة كبرى. وبالرغم من هذه التهيئة تبقى الصلاة عطيّة من الروح القدس. إنّه هو الذي يصلّي في داخلنا، وهو الذي يوجّه صلاتنا.

وباختصار، فان افكار هذا البحث قد أثرت كثيراً في تاريخ الحياة الروحية. والرهبان المصريون الاول كانوا يقرأون كتابات اوريجانوس، كما ان القوانين الاولى للحياة النسكية تأثّرت كليّاً بافكاره، وبنوع خاص، ما يتعلّق بالصلاة وبفحص الضمير وتأنيباته.

٢

اوريجانوس ومفهومه للشهادة

«الحضّ على الشهادة» هو عنوان الكتاب الذي كتبه اوريجانوس عن الشهادة كما يذكر ذلك «پنفيليوس القيصري البيروتي» في كتابه «دفاعاً عن اوريجانوس»، الفصل الثامن، و «اوسابيوس القيصري» في كتابه «التاريخ الكنسي»، الفصل السادس، العدد ٢٨، والقديس «ايرونيموس» في كتابه «الرجال العظام»، الفصل ٥٦. ولقد كتبه في بداية اضطهاد «مكسيمان» سنة ٢٣٥، في قيصرية فلسطين. وهو موجّه الى «امبروسيوس» و «بروتوكتيتوس» اللذين كانا كاهن المسيحيين وشدياقها في تلك المدينة. والموضوع كان عزيزاً على قلب اوريجانوس طوال حياته. وفي كلامه على شباب اوريجانوس يقول المؤرخ «اوسابيوس القيصري» في كتابه «التاريخ الكنسي»، الفصل السادس، العدد ٢، ٢ ـ ٦، ما يلي: «ان نار الاضطهاد كانت تشتعل في ذلك الوقت، وألوف المؤمنين قُلّدوا اكليل الشهادة. وشغف اوريجانوس بالشهادة دفعه، وهو صبيّ، الى ان يتقدّم نحو القضاة ويرمي بذاته مطالباً بالاستشهاد. ولكن العناية السماوية والالهية وضعت حداً لاندفاعه بواسطة والدته التي توسّلت اليه وخبّأت ثيابه

مجبرة اياه على عدم القيام بأيّة خطوة، بعد ان أوقف والده ونال اكليل الشهادة. وبما انه لم يكن بامكانه ان يشابه الذين يكبرونه، فلقد ارسل رسالة الى والده يحضّه فيها على الاستشهاد، مشجّعاً اياه بقوله له حرفياً: «لا تغيّر رأيك بسببنا». وهذا كان اوّل «حضّ على الشهادة» من قبل اوريجانوس.

الكتاب الذي ألّفه سنة ٢٣٥ عن الموضوع نفسه يبرهن على ان اوريجانوس لم يفقد حماس شبابه. ويلاحظ في الفصلين الخامس والاربعين والسادس والاربعين ان شهوة الاستشهاد لم تكن في جميع القلوب. فالبعض كان يرى ان لا فرق بين التضحية لله او للشيطان تحت أسم مختلف. والبعض الآخر لم يكن يرى ان الموافقة على الاستشهاد الذي كانت تطلبه السلطات الوثنية هو جريمة، معتقدين انه يكفي الايمان في القلب. فلهؤلاء كتب اوريجانوس كتابه.

مقدّمة الكتاب تشبه مطلع عظة. فاوريجانوس يستشهد بالنبي أشعيا في الفصل الثامن والعشرين، من العدد التاسع الى العدد الحادي عشر، ويطبّق ذلك على «امبروسيوس» و «بروتوكتيتوس» اللذين برهنا على ان ايمانهما حقيقيّان عندما اخضعا للتعذيب والشهادة. وفي الفصل الاول والثاني يقول: إنهما سينالان الجزاء الأبدي لأنهما تعذبا لوقت قليل. فالشهادة هي واجب كلّ

مسيحي لأنه، اذا كنّا نحب الله، يجب ان نسعى الى ان نتحد به، وهذا موضوع الفصلين الثالث والرابع. اما الفصل الخامس فيقول: وحدهم يستحقون السعادة الابدية اولئك الذين يجاهرون بايمانهم.

اما القسم الثاني من الكتاب فانه يحذّر من الكفر ومن عبادة الاوثان. وفي الفصل السادس يقول: ان نكران الله الحقيقي من اجل تكريم آلهة مزيّفين هو أعظم الخطايا. اما في الفصل السابع فيقول: إنه لمن الحمق بمكان ان نعبد المخلوق بدل الخالق. والفصلان الثامن والتاسع يشدّدان على ان الله يريد تخليص النفوس من عبادة الاوثان. بينما الفصل العاشر يعتبر ان اقتراف جريمة عبادة الاوثان يعني الاتحاد بالاصنام وجلب العقاب القاسي بعد الموت.

واما القسم الثالث من الكتاب فيتضمّن، في الفصل الحادي عشر، الحضّ على الشهادة. وفي الفصلين الثاني عشر والثالث عشر يذكر بان وحدهم الذين يحملون الصليب مع المسيح ينالون الخلاص. وفي الفصول الرابع عشر، والخامس عشر، والسادس عشر، يعتبر ان المجازاة الحسنة في السماء تزيد بقدر ما يزيد التحرّر، في هذه الدنيا، من الخيرات الارضية. وفي الفصل السابع عشر يؤكد على انه ليس بامكاننا ان نخون تعهّدنا امام الله عندما نرفض الديانات الوثنية. وفي

الفصل الثامن عشر يقول إن سلوك الشهداء وفضائلهم ستكون مثالاً للعالم أجمع في هذه الدنيا. وفي الفصول التاسع عشر، والعشرين، والحادي والعشرين، يشدّد على انه متوجّب علينا قبول جميع انواع الشهادة اذا اردنا ان لا نحصى بين الملائكة الساقطين.

وفي القسم الرابع من الكتاب فانه يعطي امثالاً من الكتاب المقدس، العهد القديم، يمجّد فيها فضيلتي المثابرة والصبر. فالفصول الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرون تستشهد باليعازر والأولاد السبعة مع امّهم البطلة، كما ورد في الكتاب الثاني من سفر المكابيين.

وفي القسم الخامس من الكتاب فانه يشرح ضرورة الشهادة وجوهرها وجميع انواعها. ففي الفصلين الثامن والتاسع والعشرين يعتبر انه ضروريّ للمسيحي ان يقبل بهذا النوع من الموت، جواباً على جميع النعم التي وهبها الله له. وفي الفصل الثلاثين يرى ان الخطايا التي يقترفها الانسان بعد عماد الماء ليس بالامكان التكفير عنها إلاّ بعماد الدم. وفي الفصلين الحادي والثاني والثلاثين يؤكد على ان نفوس المؤمنين التي تفسد وتبطل حبائل الشرّير وتعطى حياتها لله كتضحية طاهرة، تدخل في السعادة الأبدية، وهي في الوقت نفسه تحقق الغفران لكل الذين يطلبون ذلك بواسطتها. وفي الفصل

الثالث والثلاثين يقول إن الله سيساعد الشهداء كما ساعد الشباب الثلاثة في اتّون النار ودانيال في جبّ الأسود. وفي الفصلين الرابع والخامس والثلاثين يلمّح الى ان الله الآب يطلب منّا هذه التضحية كما يطلبها المسيح كذلك. واذا انكرناه على الارض فهو سينكرنا في السماء. وفي الفصل السادس والثلاثين يشرح كيف ان الله يرافق الذين يجاهرون بايمانهم الى الفردوس. وفي الفصول السابع والثامن والتاسع والثلاثين يشرح كيف ان الذين يكرهون هذا العالم هم وحدهم يرثون الملكوت السماوي، كما انهم يجلبون البركات لأولادهم من بعدهم. وفي الفصول الاربعين ولغاية الرابع والاربعين فانه يشدّد على ان الذي ينكر الابن ينكر الآب، وباتبّاعنا لمثل المسيح وتقديم ذواتنا تبقى تعزيته في قلوبنا. وهكذا فالمسيحيون هم مدعوّون الى ان يتهيّأوا دائماً للشهادة.

واما الفصلان الخامس والسادس والاربعين فهما نوع من الاستطراد. فيهما يتحدّث عن عبادة الشياطين، وكيف يجب استدعاء اسم الله. لكن القسم الأخير من الكتاب يختصر النصائح التي تدفع الى الشجاعة والى المثابرة في التجربة والخطر. وفي الفصول السابع والثامن والتاسع والاربعين فانه يؤكد على الواجب المفروض على المسيحي ابّان الاضطهاد من موقف ثابت

وحازم. وفي الفصل الخمسين فانه يعتبر ان الشهداء سيتعزّون عندما يعرفون ان الله سينتقم لدمائهم، وهم سيرتفعون ويفتدون الآخرين. وفي النهاية فان اوريجانوس يتمنّى ان يكون كتابه مفيداً لصديقيه، حتى ولو انهما ليسا بحاجة إليه، لأنهما متأهّبين لنوال اكليل الشهادة.

أخيراً، ان كتاب «الحضّ على الشهادة» هو أفضل تعليقٍ على مسلك اوريجانوس الشخصي، في شبابه كما في شيخوخته، لأنه مات متأثراً بالعذابات التي احتملها من اجل اسم المسيح. واننا لنرى في هذا الكتاب شجاعته، واخلاصه في الايمان، وحبّه اللامتناهي الذي كرّسه لمخلّصه. فالمبادئ التي بشر بها قد وجّهت حياته كلّها. ومن جهة اخرى، فان كتابه عن الشهادة هو مرجع مهمٌّ بالنسبة لتاريخ الاضطهاد ايام «مكسيمان».

٣

أوريجانوس ومفهومه للثالوث الأقدس

لا بُدَّ من التذكير اولاً ان اوريجانوس لم يقع في الخطأ الذي وقع فيه القديس «كليمنضوس الاسكندري»، والذي يستند فيه على مفهوم «اللوغس» كأساس للاهوته، ولكلّ نوعٍ من انواع المعرفة. بل بالعكس، فانّه (اعنى اوريجانوس) قد أسّس كلّ ابحاثه وتعاليمه اللاهوتية على الفكرة المسيحيّة الأعمق والأسمى، ألا وهي فكرة الله. ففي كتاب «المبادئ الاولى» نراه يركّز على ان الله هو روح ونور. إنه وحده غير المخلوق، ومحرّرٌ من كلّ مادة. وبهذا المعنى يقول: « يجب ان لانعتبر الله كجسد او كروح في جسد، بل كطبيعة روحية غير مجزّأة. إنه لا يخضع لاي تعقيد، وليس بامكاننا ان نعتبر ان فيه زيادة او نقصاناً، ولكن هو الواحد في الكل. إنه ايضاً الروح والمصدر لكلّ طبيعة روحية ولكلّ روح اخرى» (كتاب المبادئ، ١، ١، ٦).

هذا المبدأ المطلق للعالم يعمل، في الوقت نفسه، بطريقة شخصيّة كالذي خلقه ويسانده ويوجهه. فالله الآب، ككائن مطلق، لا يفهم. اننا نصل الى فهمه

بواسطة «اللوغس»، أعني المسيح. وكذلك بامكاننا ان نفهمه من خلال مخلوقاته كالشمس التي تشعّ على العالم. وبهذا المعنى يقول ايضاً: «غالباً ما يتعذّر على عيوننا النظر الى طبيعة النور أعني جوهر الشمس». ولكن عندما نتأمل وهجها وشعاعها من خلال نافذة او ممرّ ضيّق، حينئذٍ نفهم انها مصدر النور الطبيعي المادي. كذلك، فانّ اعمال العناية الالهية ومخطّط هذا العالم هما شعاع طبيعة الله، بالنسبة الى حقيقة جوهره وكيانه. وهكذا، بما ان عقلنا ليس بامكانه ان يتأمّل الله كما هو، فانه يعرف أب العالم من خلال جمال أعماله ولطافة خلائقه» (كتاب المبادئ، ١، ١، ٦).

أوريجانوس يهمه ان لا نعطي للألوهة علامات تشبيهيّة. انه يدافع عن عدم تغيّر الألوهة ضدّ مذهب الحلوليّة، وثنائية الرواقيين، وتعليم الغنوصيين والمانويين. ورداً على «سيلسوس» الذي اتّهم المسيحيين بان الله يتغيَّر، يقول: «لقد أجبت على هذه الاعتراضات عندما تكلمت عن «تسامح» الالوهة بالنسبة الى الامور الانسانية حسبما جاء في الكتب المقدسة. إنه ليس من الضروري ان يتغيّر الله، كما يقول لنا «سيلسوس»، من الخير الى الشرّ، ومن الفضيلة الى الحمأة، ومن السعادة الى التعاسة، او من الأفضل الى الأسوأ. هو ثابت في جوهره، وبواسطة تدبير عنايته يتنازل للاهتمام بالشؤون

البشرية. فالكتب المقدسة تظهر الله ثابتاً لا يتغيَّر بكلام كمثل «انت دائماً ذاتك» و «انا لا اتغيّر»، كما في المزمور ١٠١، ٢٧. إن آلهة «أبيقورس» تتركّب من ذرّات وهي عرضة للذوبان من مجرّد تركيبها، محاولة استبعاد الذرات التي تحمل جرم التدمير. امّا بالنسبة الى إله الرواقيين، نظراً لطبيعته الجسدية، فهو يحتوي، آن احتراق العالم، جوهراً مركباً من مبدأ موجه. وفي مناسبات اخرى، على العكس، عندما يتحقق تنظيم جديد للاشياء، فانه يعود جزئياً الى المادة. وفي الواقع، فان الرواقيين أنفسهم لم يقدروا ان يفهموا مبدأ الطبيعة الالهية الذي يبقى بسيطاً وغير فاسد دون تركيب وانقسام» (من كتابه «ضد سيلسوس»، ٤، ١٤).

انطلاقاً من كل ما تقدّم، فان اوريجانوس يدحض ويرفض التمييز بين اشخاص الثالوث. القديس «ايرونيموس» يتهمه بمذهب التبعيّة. ولكن «غريغوريوس العجائبي»، والقديس «اثناسيوس»، يرفضان كلّ محاولة لزج اوريجانوس في هذه الهرطقة. فالابن، حسب اوريجانوس، لا ينبثق عن الآب بواسطة القسمة، ولكن بالطريقة التي تنتج فيها الارادة عن العقل. وبهذا المعنى يقول: «اذا كان الابن يصنع كل ما يصنعه الآب، فان صورة الآب توجد في الأبن الذي ولد منه كما يولد فعل الارادة من العقل. فارادة الآب، في نظري، تكفي ليوجد

كل ما يجب ان يوجد. وعندما يريد، فانه لا يعمل شيئاً سوى انه ينطق بارادة عمله. وهكذا وجود الأبن يتحقق به. وهذه القضيّة يجب ان يأخذها بعين الاعتبار، اكثر من غيرها، الذين يرفضون كلّ كائن غير مولود، أعني كلّ كائن غير مولود سوى الله الآب. ففعل الارادة ينتج عن العقل دون ان يُقتطع منه شيء او ينفصل عنه شيء او يتجزّأ منه شيء. وبهذه الطريقة المماثلة يجب ان نفكر ان الآب يولد الابن الذي هو صورته. وكما ان الآب هو غير منظور بطبيعته، كذلك هو يولد صورته غير المنظورة. الأبن هو الكلمة. وبالتالي فانه ممنوع علينا ان نفكر ان ايّ شيء فيه يمكنه ان يقع تحت الحواس. إنّه حكمة، وفي الحكمة غير ممكن ان نفترض وجود شيء جسدي. إنه النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسان يأتي الى هذا العالم، ولكن ليس له شيء مشترك مع نور شمسنا. فمخلّصنا هو اذن صورة الله الآب غير المنظور. وبالنسبة الى الآب فانه الحقيقة. امّا بالنسبة إلينا فانه يظهر لنا الآب، هو الصورة التي ترشدنا الى معرفة الآب الذي لا يعرفه احد إلاّ الابن، ومن يريد الأبن ان يكشف له ذلك» (كتاب «المبادئ»، ١، ٢، ٦).

في هذا النص يعرض اوريجانوس بوضوح كامل الطريقة التي من خلالها ينبثق الابن عن الآب. فليس ذلك بواسطة التفرّع والانقسام، ولكن بواسطة الفعل

الروحي. وبما ان كلّ شيء هو أبدي في الله، كذلك فعل التوالد ايضاً. وللسبب نفسه فان الابن لم تكن له بداية. لم يكن هناك من وقت دون ان يكون موجوداً فيه. وبذلك فاوريجانوس يرفض ويدحض مسبقاً الهرطقة الاريوسية التي اعتبرت ان الابن كان، في وقت من الاوقات، غير موجود. كذلك بالنسبة الى بنوّة المسيح الذي ليس ابن الله بالتبنّي، بل بالطبيعة. فعلاقة الابن بالآب هي علاقة الجوهر ذاته. وبهذا المعنى أوجد اوريجانوس كلمة «OMOOUSIOS» التي تعني الشراكة في الجوهر بين الآب والأبن، والتي اصبحت مشهورة في المجادلات والمناقشة حول المسيح في مجمع «نيقيا» سنة ٣٢٥.

يقول اوريجانوس: «هل بامكاننا الاعتقاد ان النور الابدي هو غير الله الآب، وان النور لا يتألق بمجد؟ النور بدون الضياء هي مغالطة عقلية. وبهذا المعنى فانه لم يمرّ يوم لم يكن فيه الأبن الأبن. انه سوف لا يكون كما تكلّمنا عن النور الأبدي الذي لم يخلق، ولكنّه حقيقة ضياء النور غير المولود، وهو دائماً كان موجوداً. وكذلك الحكمة، المنبثقة من الله، هي مولودة من جوهر الله نفسه. وتحت صورة دفقٍ جسدي، هي ايضاً مدعوّة بدورها لتكون نوعاً من دفقٍ صحيح وطاهرة لمجد قوّة/ الله القدير. وهذان التشبيهان يظهران شراكة الجوهر بين الآب والابن. إنه دفق جوهر مماثل للجسد

الذي يصدره ويوجده» (تعليقاً على الرسالة الى العبرانيين، ٢٤، ٣٥٩).

إن عقيدة «اللوغس» عند اوريجانوس تظهر تقدّماً مهمّاً في تطوّر اللاهوت المسيحي. ولقد أثّرت بعمق على تعليم الكنيسة. واذا ما تعمّقنا بعقيدة «اللوغس» هذه، فاننا نصل الى استنتاجين: الاول هو التشديد على ألوهة «اللوغس»، والثاني هو التشديد على ان هذا «اللوغس» هو إله ثانٍ (الرد على سيلسوس، ٥، ٣٩؛ وفي الشرح لانجيل يوحنا، ٦، ٣٩، ٢٠٢). الآب وحده هو الصلاح الاوّل. امّا الأبن فهو صورة هذا الصلاح. وهنا يعلن اوريجانوس قائلاً: «في الوقت الذي نعلن فيه ان العالم المحسوس هو تحت سلطة خالق كل شيء، فاننا نؤكد ايضاً ان الابن ليس بمقدرة الآب، بل هو في رتبة أدنى» (ضد سيلسوس، ٨، ١٥). الابن والروح القدس هما، في فكر اوريجانوس، وسيطين بين الآب والخليقة. وبهذا المعنى يقول: «امّا بالنسبة إلينا نحن المؤمنين بان المخلص يقول «الآب الذي أرسلني هو اقوى مني» ولا يسمح ان نطبّق عليه لقب «الصالح» بمعناه العميق والحقيقي والكامل، بل على الآب الذي نرفع اليه الشكر ونحرّم كلّ الذين يمجّدون الآبن بطريقة مفرطة، فاننا نقول بذلك ان المخلص والروح القدس هما فوق كلّ شيء مخلوق، ولكن دون الآب» (في

التعليق على انجيل يوحنا، ١٣، ٢٥). فمن قراءة هذا المقطع وغيره نفهم بوضوح لماذا اتُّهم اوريجانوس بهرطقة التبعيَّة. وانه لواضح ان يعتبر ان هناك تراتبيَّة في الثالوث، والروح القدس هو في منزلة أدنى من منزلة الابن (كتاب «المبادئ الاولى»، المقدمة، ٤).

هذا باختصار مفهوم اوريجانوس عن الثالوث الأقدس وعلاقة الآب بالابن وبالروح القدس.

٤

أوريجانوس ومفهومه لشخصية المسيح ولتعاليمه.

في مؤلفاته العديدة يعرض اوريجانوس بوضوح مفهومه لشخصية المسيح ولتعاليمه، رابطاً بين «اللوغس» ويسوع المتجسّد في الأناجيل. ففكرة نفس المسيح، الموجودة مسبقاً، هي الرابط الأساسي بين وجود «اللوغس» المطلق وجسد المسيح المحدود. وفي ذلك يقول: «إن جوهر النفس الذي يتوسط بين الله والمادة، نظراً الى ان الطبيعة الالهية يستحيل عليها التدخل في امور الجسد دون وساطة، هو نفسه الذي توسط لخلق الانسان ـ الله بواسطة جوهر طبيعة يستحيل عليها ان تتّخذ جسداً. ولم يكن مناقضاً لطبيعة هذه النفس كجوهر عاقل ان تتقبّل الله الذي كانت قد دخلت فيه كلياً، كما أوضحنا ذلك سابقاً في الكلمة والحكمة والحقيقة. إنها تستحقّ اذن، مع الجسد الذي لبسته، ألقاب ابن الله، وقدرة الله، والمسيح حكمة الله، الموجودة جميعها في ابن الله الذي احتواها فيه» (كتاب «المبادئ الاولى»، ٢، ٦، ٣). وبذلك نرى ان اوريجانوس استعمل، للمرة الاولى، تعبير الانسان ـ الله الذي بقي في المصطلحات والمفردات اللاهوتية. وبالنسبة الى التجسّد فانه يؤكّد ان الجسد الذي دخلت

فيه نفس المسيح هو من زرع الروح القدس في احشاء العذراء. وباتحادها مع «اللوغس»، فنفس المسيح لا يعود بامكانها ان تخطأ. وبهذا المعنى يقول: «ان تكون طبيعة هذه النفس مماثلة لطبيعة الآخرين، فهذا مما لا شكّ فيه، وإلاّ كيف بامكاننا ان ندعوها نفساً اذا لم تكن كذلك فعلاً؟ ولكن امكانية الخيار بين الخير والشرّ، خاصّة كلّ النفوس، تصبح، عند المسيح، امكانية الخيار بين الحبّ والعدل بطريقة ان غنى حبّه يلتصق به مبعداً كلّ تغيير وكل انفصال. فصلابة عزمه، وعظمة حنانه، وحرارة حبّه التي لا تخمد، جميعها تبعد عنها فكرة العودة الى الوراء او التغيير. فالذي كان في الماضي يتعلق بارادتها أصبح، من الآن وصاعداً، في طبيعتها بقوة العادة الدائمة. فيجب اذن ان نؤمن انها توجد في المسيح نفس بشرية وعاقلة، دون الاعتقاد انها تتأثر بميل الخطيئة» (كتاب «المبادئ الاولى»، ٢، ٦، ٥).

إن اتحاد الطبيعتين في المسيح متلازم جداً لأن النفس والجسد في يسوع اصبحا، بعد الشراكة، كائناً واحداً مع «لوغوس» الله (ضدّ سيلسوس، ٢، ٩). فاوريجانوس يؤمن بعدم تغيّر الصفات. وفي نظره، إنه لمن الممكن، حسب هذه النظرية، أنه كلّ مرة نعطي المسيح اسماً يحدّد ألوهيته، فانه من الضروي ان نعطيه

ايضاً تلك الصفات، والعكس بالعكس. وبهذا المعنى يقول: «ان ابن الله، الذي بواسطته خلق كلّ شيء، سُمّي يسوع المسيح وابن الانسان. فابن الله عرف الموت بصفة انه في هذه الطبيعة البشرية. وانه يدعى ابن الانسان الذي بمجيئه يعلن مجد الله الآب مع الملائكة القديسين. لذلك، وعبر الكتب المقدسة، فان الطبيعة الالهية تحمل تسميات بشرية، كما ان الطبيعة الانسانية ترفع الى مستوى الكرامة الالهية بواسطة تسميات إلهية» (كتاب «المبادئ الاولى»، ٢، ٦، ٣).

وباختصار، فان فضل اوريجانوس يقوم على انه ترك للاّهوت المسيحاني تسميات ومفردات لم يسبق لغيره ان أتى بها، مثل الطبيعة، والشخص، والعقل، وغيرهم من المفردات.

٥

أوريجانوس ومفهومه لأمومة العذراء

العذراء لها موقع خاص في مؤلفات اوريجانوس. إنه من الاوائل الذين أطلقوا تسمية «ام الله» عليها. ولقد ذكر ذلك المؤرخ «سوزومينوس» في كتابه «التاريخ الكنسي»، ٧، ٣٢، الذي اطلع على مؤلفاته التي فقدت في ما بعد. وعندما اشتد النقاش والنزاع حول موضوع أمومة العذراء لله في مدرسة الاسكندرية، كان اوريجانوس مرجعاً في تفسيراته وتعاليمه. ولقد رجعت إليه جميع المجامع المهمّة في الكنيسة، من مجمع «نيقيا» سنة ٣٢٥ الى مجمع «أفسس» سنة ٤٣١.

غير ان جديد اوريجانوس في هذا الموضوع هو تسميته للعذراء بـ «الأم الكونية»، مستنداً في ذلك على انجيل القديس يوحنا حيث يقول: «ليس لأحد ان يفهم انجيل القديس يوحنا اذا لم يفهم معنى اتّكاء رأسه على صدر يسوع، واعطاءه مريم كأمّ من على الصليب» (في تعليقه على انجيل القديس يوحنا، ١، ٦).

وباختصار، ان امومة العذراء لله وللبشرية جمعاء هي نقطة الارتكاز في لاهوت اوريجانوس المريمي.

٦

أوريجانوس ومفهومه للكنيسة

اوريجانوس يعرّف الكنيسة بانها «جماعة الشعب المسيحي» و «جماعة القديسين» و «جماعة المؤمنين» و «جسد المسيح السرّي». وكما ان النفس تسكن الجسد، كذلك «اللوغس» يحيا في الكنيسة التي هي جسده. إنه مبدأ حياتها. وبهذا المعنى يؤكد، كما ورد في الكتب المقدّسة، على ان «جسد المسيح، المحرّك بواسطة ابن الله، هو جماعة كنيسة الله. واعضاء جسده هم المؤمنون. وكما ان النفس تحيي وتحرّك الجسد... هكذا الكلمة المتسجد يحرّك، كما يجب، ويحيي جسد الكنيسة كلها، وكذلك يحرّك كلّ عضو من اعضاء هذه الكنيسة بمعنى ان هذا العضو لا يعمل شيئاً خارجاً عن ارادة الكلمة المتجسّد» (كتابه «ضد سيلسوس»، ٦، ٤٨). وأوريجانوس هو اوّل من أعلن ان الكنيسة هي «مدينة الله» على هذه الأرض. انها تعيش حالياً مع الدولة جنباً الى جنب. وبما انها مدينة الله، فانها تأخذ طابعاً كونياً، وشرائعها هي في انسجام مع الدولة القائمة في كل بلد. فالكنيسة هي اليوم دولة ضمن الدولة، ولكن «اللوغس» الذي يعمل فيها سينتصر نهائياً على الامبراطورية الدنيوية. وفي هذا المعنى يقول: «إننا نعتقد ان الكلمة

سينتصر على الخليقة العاقلة كلها وستغيّر كلّ نفسٍ ليتحقّق كمالها. وفي هذه الدولة، فان كل فردٍ، وبممارسة سلطته الفردية، سيختار الذي يرغب فيه، وسيحصل على كلّ شيء اختاره» (من كتابه «ضد سيلسوس»، ٨، ٧٢).

فالكنيسة، المنوّرة والموجّهة بواسطة «اللوغس»، ستكون «كون الكون». وسوف لا يكون سلامٌ خارجاً عنها. ولا نجد العقائد والشرائع التي حملها المسيح الى الانسانية إلاّ في هذه الكنيسة، كما لا نجد دم فدائه لخلاصنا إلاّ فيها. ومن ثمّ، فإن ايمان الهراطقة لا يستحقّ ان يدعى ايماناً. إنّه سذاجة اعتباطية، او ايمان اعتباطي.

وباختصار، فان تحديد اوريجانوس للكنيسة كان المرجع لجميع الأجيال في مجال العقيدة. وتجدر الاشارة هنا الى ان القديس «اغوسطينوس» قد أخذ عنه تسمية «مدينة الله»، التي كانت موضوع كتابه الشهير.

٧

أوريجانوس ومفهومه لسر العماد وللخطيئة الأصلية.

اوريجانوس يؤكد ايمانه بوجود الخطيئة الأصلية وبعماد الاطفال، ويقول: إن كل انسان يولد في الخطيئة، ولذلك فان التقليد الرسولي يأمر بعماد المولودين جديداً. وبهذا المعنى يوضح ما يلي: «اذا كنتم تريدون معرفة ما فكر به بعض القديسين حول الولادة الطبيعية، فما عليكم إلاّ ان تصغوا الى ما قاله النبي داوود في المزمور الخمسين، العدد ٧، وهو «إني في الاثم ولدتُ وفي الخطيئة حبلت بي امي». وبذلك يعني ان كل نفسٍ ولدت في الجسد تحمل لطخة الخطيئة. وهذا يشرح ما ذكرناه سابقاً: ليس كلّ انسان خالياً من الخطيئة، حتى ولو لم يعش سوى يومٍ واحد (ايوب، ١٤، ٤). ونزيد على ذلك ان الكنيسة فرضت عادة عماد الاطفال لمغفرة الخطايا. وانه لواضح أن نعمة العماد هي ضرورية، لأن الأطفال يحتاجون ايضاً الى مغفرة الخطايا. والكنيسة تسلّمت من الرسل عادة تعميد الأطفال انفسهم. والذين تسلّموا مفاتيح الأسرار الالهية كانوا يعرفون ان كلّ انسان يحمل في ذاته لطخة الخطيئة الأصلية التي يجب غسلها بالماء والروح. من هنا فريضة الكنيسة بالعماد لكي تدخل كلّ انسان، حتى الأطفال، في عداد اعضائها

اطهاراً. وعندما يتطهّر الانسان بالعماد يصبح هيكلاً للروح القدس، ويحلّ فيه الثالوث الأقدس أيضاً، فيعيش شراكة صوفية مع الله باقانيمه الثلاثة، ويكون اتّحاده الصوفي هذا اشعاعاً روحياً عميقاً في العالم أجمع. فالعماد هو الوسيلة الأولى للعودة الى احضان الله والى العيش بحضوره الدائم كما كان الانسان في الفردوس. وعندما يعيش الانسان هذه الحالة من البرارة والقداسة على الأرض، تصبح الأرض جميعها مقدّسة وهيكلاً لله القدوس من جرّاء تقديسه لهذا العالم بدوره على مثال المسيح المخلّص والفادي.

٨
اوريجانوس ومفهومه لسرّ التوبة ولمغفرة الخطايا

في موضوع التوبة وغفران الخطايا يؤكّد اوريجانوس، وبصورة دائمة، أنّه لا يوجد إلاّ غفران واحد للخطايا وهو العماد، لأن الديانة المسيحية تعطي السلطان والنعمة للانتصار على الشهوات السّيئة والقبيحة. كما انه توجد وسائل اخرى لغفران الخطايا المقترفة بعد العماد، واوريجانوس يعدّدها هكذا: الشهادة، الصدقة، مغفرة الاهانات، ارتداد الخاطىء، والمحبة. وبكلام آخر يقول ايضاً: إن هناك طريقة اخرى للغفران بواسطة التوبة والاعتراف بالخطايا امام الكاهن. وهذا الكاهن هو الذي يحكم اذا كانت هذه الخطايا يجب الاعتراف بها علناً ام لا. وبهذا المعنى يقول: «انظروا وراقبوا جيداً الشخص الذي تعترفون له بخطاياكم. اختبروا طبيبكم كي تعلموا ما اذا كان ضعيفاً مع الضعفاء ومكروباً ومحزوناً مع البؤساء والمحزونين، حتى اذا ما رأى انه من الضروري ان تكشفوا النقاب عن علّتكم امام الجماعة كي تبرأوا منها، حينئذٍ اطيعوا نصيحته هو الطبيب المتمرّس» (من عظة حول المزمور ٣٧، ٢، ٥).

تبقى المسألة التي من خلالها نشعر اذا ما كان اوريجانوس يعتبر ان كل الخطايا ستغفر. هناك مقطع من كتابه حول الصلاة يبدو وكأنه يؤكد فيه العكس، مشيراً الى استحالة نيل الغفران بالنسبة الى الخطايا الرئيسيَّة. وبذلك يقول: «لا ادري كيف ينتحل البعض مقدرة» تفوق مقدرة الكهنة، وذلك لأنهم يجهلون جهلاً مطبقاً العلم الكهنوتي. إنهم يتبجّحون بقدرتهم على مغفرة خطايا مثل خطيئة عبادة الأوثان والزنى والفسق. وإنهم يعتقدون ان صلواتهم لها سلطة على الخطايا الممیتة» (حول الصلاة، ٢٨). ولقد اعتبر البعض ان اوريجانوس يؤكد على ان هناك خطايا لا يمكن ان ينال مرتكبوها الغفران. ولكن هذا القول ليس دقيقاً لأن اوريجانوس نفسه لا يؤكد استحالة الغفران كلياً، بل يشير الى ان الصلاة وحدها لا تكفي لنيل الغفران اذا لم ينفّذ الخاطئ عقاباً بخروجه من الكنيسة مدة طويلة. ومن المؤكد ان الكاهن لا يستطيع بصلاته وحدها ان يغفر خطيئة مميتة، لكن ذلك لا يعني مطلقاً استحالة حلّ الخاطئ من خطاياه في حال اعتبر هذا الكاهن ان الله غفر لانسان خضع لعقاب علني. واوريجانوس يوضح هذه الفكرة في مكان آخر مؤكداً، بل مشدّداً، على ان ما من خطيئة لا ينال مرتكبها المغفرة. وبهذا المعنى يقول في ردّه على «سيلسوس»، ٣، ٥١: «ان المسيحيين يبكون الفاسقين او الذين ارتكبوا خطايا اخرى معتبرين

ان هؤلاء اصبحوا، بسبب ما ارتكبوه من معاصٍ، في عدادِ المفقودين الضائعين بعد ان ماتوا بالنسبة الى الله. ولكنَ اذا ما اعطى هؤلاء البرهان الكافي على تحوّل قلبهم تحوّلاً صادقاً مخلصاً، فانهم سيعادون الى القطيع في وقت لاحق، اي بعد فترة تطول اكثر من الفترة التي قبلوا بها المرة الاولى، تماماً كما لو قاموا من بين الأموات».

وباختصار، ان مفهومه لسِرّ التوبة ولمغفرة الخطايا كان مرجعاً في القرون الاولى للكنيسة، وكان تعليمه الحكم في القضايا اللاهوتية المتعلّقة بهذا السرّ.

٩

أوريجانوس ومفهومه لسرّ الافخارستيا

في ردّه على «سيلسوس»، الفصل ٨، العدد ٣٣، يقول اوريجانوس: «اننا نشكر الخالق على كلّ شيء، ونأكل الخبز الذي يُقدَّم لنا بشكر وصلاة، عن الخيرات التي تعطى لنا. وارغفة الخبز هذه تحوّلت، بفضل الصلاة، الى جسد مقدَّس ومقدِّس للذين يتقبّلونه باستعدادات سليمة وصحيحة». فهو يدعو هنا خبز الافخارستيا «جسداً مقدساً»، غير انه، في مقاطع اخرى، يتحدّث بوضوح عن الافخارستيا على انها جسد الرّب. يقول ما معناه: «انتم الذين تحضرون عادة الاسرار الالهية تعرفون باي احتراس تحتفظون بجسد الربّ عندما يسلّم إليكم، خشية ان يقع منه بضع فتات، فيضيع بذلك جزءٌ من الكنز المقدس. ذلك أنكم تعتبرون انفسكم مذنبين، وأنتم على حقٍ في ذلك، اذا ما ضاع منه شيء بسبب اهمالكم». فاوريجانوس يؤمن ايماناً ثابتاً بان الافخارستيا هي ذبيحة تكفيريّة. وفضلاً عن ذلك، فانه يذكّر بوجود مذبح اذ يقول ما معناه: «انتم ترون ان المذابح لم تعد تنضح بدم الحملان، بل اصبحت مقدّسة بفعل دم السيّد المسيح، الدم الثمين للغاية». صحيح اننا نعثر في كتاباته على مقاطع رمزيّة، فهو يرى ان «جسد ودم» الرب في

الافخارستيا يمثّلان تعليم المسيح الذي تتغذّى به النفوس، ولكنه يقول ايضاً: «هذا الخبز الذي يعتبره الاله الكلمة جسده، هو الكلمة الذي يغذي النفس، الكلمة المنبثق من الاله الكلمة. إنه الخبز المنبثق من الخبز السماوي، والموضوع فوق الطاولة التي قيل عنها: «أنت جهّزت طاولة أمامي، وبوجه أعدائي» (المزمور ٢٢، ٥). وهذا الشراب الذي يعتبره الاله الكلمة دمه، هو الكلمة الذي يروي، بطريقة رائعة، اولئك الذين يشربونه. شراب هذا الكاس هو الذي قيل فيه: «كم هي رائعة كأسك المسكرة» (المزمور ٢٢). والله الكلمة لم يدعُ جسده الخبز المرئي الذي أمسك به بين يديه، بل الكلمة السرّ التي فيها يكسر هذا الخبز. كما انه لم يكن يعني بدمه الشراب المنظور، بل الكلمة السرّ التي فيها يسكب هذا الشراب. وما عساهما يكونا بالفعل جسد او دم الاله الكلمة إن لم يكونا الكلمة التي تغذي القلب وتفرحه» (عظة حول القديس متى، ٨٥).

ان مقاطع كالتي ذكرنا لا تنفي التفسير الحرفي الموجود في أماكن اخرى. فاوريجانوس يؤكد تأكيداً واضحاً ان دم المسيح يشرب بطريقتين: بطريقة السرّ المقدس، وبتقبلنا لأقواله المحيية. ويعترف كذلك بان التصوّر الحرفي للمناولة المقدسة هو التفسير العام الذي تعتمده الكنيسة، غير انه ينسب هذا التفسير الى النفوس

البسيطة الساذجة. امّا التفسير الرمزي فيبدو له لائقاً بالله، وهو الذي يعتمده العلماء.

وباختصار، فان مفهوم اوريجانوس لسرّ الافخارستيا هو مفهوم خاص، يستند من جهة الى الرمزية التي تميّزت بها مدرسة الاسكندرية، وبالتالي فانه يلتقي بالمفهوم الحرفي مع المدرسة الانطاكية.

١٠

أوريجانوس ومفهومه للثواب والعقاب وللحياة الاخرى.

إن المثل النموذجي لتنظير اوريجانوس اللاهوتي يتمثّل في مفهومه للانبعاث الكوني لجميع الأشياء والعودة الى حالتها الاولى، اي الحالة الروحية. ومن خلال هذه الرؤيا العظيمة، فان أنفس الذين ارتكبوا الخطايا على هذه الأرض ستخضع، بعد موتها، لنار مطهّرة. امّا الأنفس الصالحة، فهي، على العكس، ستدخل الى الفردوس، أعني الى ما يشبه المدرسة حيث سيعطي الله فيها الحلول لجميع مشاكل الكون. فاوريجانوس لا يتكلّم مطلقاً عن نار أبدية ولا عن عقاب جهنم. الخطأة جميعهم سيخلصون، وحتى الشياطين وابليس نفسه سيتطهّروا بواسطة «اللوغس». وبعد ان يتمّ ذلك يحين موعد مجيء المسيح الثاني، وتعقبه قيامة جميع البشر باجسادٍ روحية لا ماديَّة، ويكون الله كلاًّ في الكلّ. وبهذا المعنى يقول: «إن نهاية العالم وانقضاء الزمان سيتمّان عندما يلقى كلٌّ منّا جزاء خطاياه. امّا اللحظة التي يعيد فيها الله لكل انسانٍ ما يستحق، فانّه وحده (أعني الله) يعرفها. وفي رأينا، فان عطف الله ورحمته سيعيدان، بواسطة المسيح، جميع

المخلوقات الى غايتها الأخيرة، بمن فيهم اعداءه، بعد ان يستولي عليهم ويجذبهم إليه. وهكذا يقول الرب في الكتاب المقدس: «قال الربّ لربّي إجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت قدميك» (المزمور ١٠٩، ١) (من كتاب «المبادئ الاولى»، ١، ٦، ١). فالكلمة الالهي، والقدرة على الشفاء الموجودة فيه، هما أقوى من جميع الشرور المتأصّلة في النفس. وهذا الشفاء يمنحه لكلّ انسان حسب مشيئته. وانقضاء الدهور يعني القضاء على الشرّ. امّا اذا كان هذا الشرّ سيولد من جديد، فان ذلك خارج عن نطاق بحثنا الآن» (من كتابه «ضد سيلسوس»، ٨، ٧٢). ولكن الاشياء التي تتبع مسيرتها نحو هذا الانقضاء الذي سيعيدها الى الوحدة، كما ان الآب هو واحد مع الأبن، فانه ممكن ان نفهم بالتالي انه حيث يكون الكلّ واحداً لا يوجد بعدئذٍ تنوّع. امّا بالنسبة الى العدو الأخير الذي هو الموت، فان تدميره معلن حتى لا يعود هناك داعٍ للحزن او التنوّع بعد زوال العدوّ. والقضاء على العدو لا يعني ان ماهيته التي أوجدها الله ستزول، بل إن نواياه الشرّيرة وارادة الأذى عنده هي المعرّضة للزوال وللتلف. إنّه سيزول وسيدمّر، ليس بعدم وجوده، بل لأنه لا يعود عدواً ولا موتاً، والله القادر على كلّ شيء لا يستحيل عليه شيء، وليس ما يُعجز الخالق عن إبرائه. إنه صنع الأشياء من أجل ان تكون، وما خلقه الله كي يكون لا

يمكن ان ينتهي او ان لا يكون... فالكافرون والجاهلون يفترضون ان جسدنا سيلقى، بعد الموت، فناءً لا يبقي له شيئاً من مادته الاولى. امّا نحن الذين نؤمن بقيامته فنعتقد أن الموت لن يحمل إليه سوى تغييرٍ واحدٍ، ولكن ماهيته ستبقى وستعود الى الحياة في الوقتِ المحدّد حسب ارادة خالقها. وعند ذلك سيحدث فيها تغيير ثانٍ. فما كان في البدء جسداً ارضيّاً مصنوعاً من التراب وقد اعاده الموت الى الغبار والرماد سينبعث من الأرض ويدخل، حسب استحقاقات النفس التي تسكنه، الى مجد جسدٍ روحاني. وهكذا علينا ان نفكّر ان ماهيتنا الجسديةً بأكملها مقبلة على هذه الحالة عندما تعود الأشياء كلّها الى الوحدة ويكون الله كلاًّ في الكلّ. ولكن، فلندرك جيداً ان الأمر لن يحدث فجأةً، بل بالتدريج، على مدى أجيال لا حصر لها ولا عدّ. فالاصلاح والتأديب سيتطوران شيئاً فشيئاً، وانساناً بعد انسان. وقد يسبق البعض الآخرين ويتقدّمون عليهم، ويلحق بهم البعض الآخر، ولكن هناك من يظلّ بعيداً. وهكذا، حسب مستويات الكائنات التي لا تحصى، السائرة نحو الهدف، والتي تنتقل من حالة الحميميّة الى حالة المصالحة مع الله، يأتي دور العدو الأخير الذي نسميّه الموت. وسيقضى عليه لحظة يحين الوقت، اي انّه لن يبقى عدواً. وعندما تبعث جميع النفوس المدركة، وتصبح في هذه الحالة، تتحوّل حينئذٍ ماهية

اجسادنا الى مجد جسدٍ روحاني» (من كتاب «المبادئ الاولى»، ٣، ٦، ٤ ـ ٦). وهنا يطرح اوريجانوس السؤال قائلاً: «ماذا يعني هذا «الكلّ» الذي سيكونه الله في كل شيء؟ إنه في نظري يعني ان الله يكون في كل انسان منّا، اي ان كلّ ما يمكن ان يحسّه او يفهمه او يفكر به العقل المدرك الذي تطهّر من دنس الخطايا، وغسل من كلّ لطخة خبث ومكر، لن يكون إلاّ الله. فالعقل المدرك لن يشعر بغير الله، ولن يفكّر إلاّ بالله، ولن يرى سوى الله، ولن يمتلك غير الله. فالله سيكون قاعدة تحركاته ومقياس هذه التحرّكات، وهذا يعني ان الله سيكون هو الكلّ بالنسبة إليه. ومن ثمّ، فلن تكون هناك حاجة الى التفريق بين الخير والشرّ لأنه سوف لا يوجد شرّ بعد ذلك، طالما ان الله هو الكلّ ومن الى جانبه لا يوجد فيه شرّ. إنه لن يرغب في الأكل من شجرة المعرفة، شجرة الخير والشر، من هو دائماً في الخير، ومن يكون الله هو الكلّ بالنسبة إليه. وعلى هذا الأساس فالنهاية ستجدّد البداية، ونهاية الأشياء تعود الى بدايتها. من هنا ستعاد الطبيعة العاقلة الى حالتها الاولى عندما لا تحتاج الى الأكل من شجرة المعرفة، شجرة الخير والشرّ. فكلّ شعورٍ بالمكر والخبث سيستبعد ويغسل، ليصبح واضحاً نقيّاً طاهراً، ومن هو الاله الواحد، الاله الرحوم يصير الكلّ بالنسبة الى هذه الطبيعةالعاقلة. ولن يحدث هذا في القليل او الكثير، بل

الكلّ في كلّ شيء. كما ان الموت سوف لا يعود الى الوجود، وتستأصل شوكة الموت، ولن يكون هناك شرٌّ مطلقاً. وفي تلك اللحظة يصبح الله حقيقة الكلّ في الكلّ، وفي كلّ شيء». (من كتاب «المبادئ الاولى»، ٣، ٦، ٣).

بالنسبة الى اوريجانوس إنه يجب ان لا نرى في هذا الانبعاث الكوني نهاية العالم. إنها مرحلة انتقالية. وتحت تأثير الفلسفة الأفلاطونية فانه (أعني اوريجانوس) كان يؤكّد على وجود عوالم سبقت تكوين هذا العالم. كما ان عوالم اخرى، يفوق عددها الحصر، ستتلاحق بعدها. فالتخلّي عن الله والعودة إليه يتبع احدهما الآخر دون نهاية. وبهذا المعنى يقول: «إليكم الاعتراض الذي يقدّمه البعض: اذا كان للعالم بداية في الزمن، فماذا كان الله يفعل قبلاً، اي قبل نشأة العالم؟ إنه لمن السخف والكفر الزعم بأن طبيعة الله تظلّ ساكنة، متوانية، عاطلة عن العمل، وجامدة. وإنه لمن السخف والكفر كذلك الاعتقاد ان صلاح الله استطاع ان يتوقف لمدّة معيّنة عن صنع الخير، او أن قدرته توقفت عن ممارسة سلطتها. تلك هي حجّتهم المعتادة عندما نؤكد نحن ان العالم بدأ في زمنٍ معيّن، ونحاول ان نعدّ، استناداً الى الكتاب المقدس، السنوات التي انقضت على وجوده. ولا اعتقد ان الاجابة على هذه الحجج او ضحدها يسهل على

الهراطقة، انطلاقاً من قناعاتهم الخاصة. امّا نحن فيمكننا ان نجيب بطريقة منطقية تتوافق مع مبادئ الدين اذ نقول: إنَّ الله لم يبدأ يفعل فقط عندما خلق هذا العالم المرئي، ولكن بما انه سيكون عالم آخر بعد انقضاء هذا العالم، فنحن نؤمن بأن ثمّة عوالم وجدت قبل ظهوره. وجدت عوالم قبل عالمنا، وستأتي عوالم بعده. ولا يجب ان نفترض تزامن لعدة عوالم، فبعد عالمنا سيأتي عالم آخر» (من كتاب «المبادئ الاولى»، ٣، ٥، ٣).

وباختصار، يتبيّن من المقاطع التي اوردناها على لسان اوريجانوس انه يخلص الى هذا القول بعد تصوّره للمخلوق الروحاني. هذا المخلوق المتمتّع بالارادة الحرّة يستطيع الابتعاد عن الخير والاتجاه نحو الشرّ، كلّ مرة يشاء ذلك. ومعاودة سقوط الارواح تحتّم وجود عالم مادي جديد. وتتابع العوالم، الواحد بعد الآخر، وعملية خلق الكون، تصبح عملاً ازلياً.

١١

أوريجانوس ومفهومه لوجود النفوس السابق

يبدو واضحاً ان وجود النفوس السابق في مفهوم اوريجانوس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنظريته حول انبعاث الكون. ففي رأيه إن هذا العالم المنظور سبقه عالم آخر. والانفس البشرية التي سبق وجودُها هي ارواح سقطت من الشراكة الالهية اثناء وجودها في عالم سابق. لذلك تجد هذه النفوس ذاتها اليوم مسجونة داخل اجساد ماديّة. فالخطايا التي ارتكبتها النفوس في العالم السابق تفسّر التنوّع في مدى النعمة الممنوحة لكلّ فردٍ على هذه الأرض، والفارق الكبير بين البشر. وإنه لمن المفيد ان نرى كيف ان اوريجانوس يوفّق بين مفهومه هذا لوجود النفوس السابق ومعنى كلمة Pysché اليونانية المستخرجة من فعل Psychèstai الذي يعني «برّد» او «أخمد». وبذلك يقول: «علينا ان نتبيَّن لماذا هذه النفس دعيت Psychè. أيكون السبب اخماد حرارتها تجاه العدل الالهي واهمالها المشاركة في النار المقدسة فابعدت الى حين دون ان تفقد قدرتها على العودة الى حالتها الاولى من الحرارة والتقى؟ النبي نفسه يشير الى حالة مماثلة بهذه الكلمات: «عودي، ايتها النفس، الى راحتك» (مزمور ١١٤، ٧). ويتضح من كلّ ذلك ان العقل،

بفقدانه مرتبته وكرامته، أصبح نفساً او هو دعي كذلك. ولكن اذا ما بُعثت النفس أو أُدّبت، تعود الى حالتها الاولى، اي انها تعود عقلاً... واذا صحّ القول، يخيّل اليَّ ان هبوط العقل وانحطاطه لا يتشابهان عند الجميع لأن الانتقال الى حالة النفس يبلغ درجة يتفاوت عمقها حسب الحالات الفردية. فبعض العقول تبدو وكأنّها احتفظت بقسط من نشاطها السابق، فيما لا تستبقي عقول اخرى غير القليل، او ربما لا شيء. الى ذلك يرجع السبب في ان ثمة عقولاً تظهر علامات النجابة في سنّ مبكّرة جداً، فيما اخرى تظلّ بطيئة، وتولد عقول اخرى مغلقة تماماً وغير قادرة على تحصيل العلم» (من كتاب «المبادئ الاولى»، ٢، ٨، ٣ ــ ٤).

ويخلص اوريجانوس الى القول: «أليس بالتوافق مع الادراك ان كل نفس قد أُدخلت، لأسباب غامضة (وهنا افكر بمذاهب افلاطون وفيتاغورس وامبيدوكلوس الذين كثيراً ما يستشهد بهم الفيلسوف الوثني سيلسوس) في جسدٍ، بناءً على رغباتها او اعمالها السابقة»؟ (من كتابه «ضدّ سيلسوس»، ١، ٣٢).

١٢
أوريجانوس ومفهومه الرمزي للكتاب المقدّس

لم يكن الكتاب المقدس، في نظر اوريجانوس، كتاب عقيدة واخلاق وحسب، بل انعكاساً حيّاً وسامياً للعالم غير المنظور. فالتوراة هي، في نظره اولاً، كلمة الله، قبل ان تكون ايّ شيء آخر، وهي ليست كلمة ميتة، مسجونة في ماضٍ سحيق، بل كلمة حيّة تتوجّه مباشرة الى انسان اليوم. ثم ان كتاب العهد الجديد يلقي الضوء على العهد القديم، ولا يمكن اكتشاف بُعد العهد القديم إلاّ على نور العهد الجديد. فالرمزية هي التي تثبت مدى علاقتهما وتكاملهما. وفهم الكتاب المقدس هو، في نظر اوريجانوس، نعمة من الله. وبهذا المعنى يقول: «هناك مفهوم يؤكد، انطلاقاً من العقيدة المسيحية، أن الكتاب المقدس قد وضعه روح الله، وهو يحتوي، فضلاً عن معناه الظاهر، معنىً آخر خافياً على السواد الأعظم من القرّاء. فمحتواه هو بالفعل الحدّ الظاهر لبعض الأسرار وصورة لأشياء إلهيّة. وحول هذه النقطة فان الكنيسة مجمعة على ان الشريعة هي بأكملها روحية، غير ان معناها الروحي غير معترف به من قبل الجميع. وحدهم يكتشفونه اولئك الذين يتمتّعون بنعمة الروح القدس في

كلمة الحكمة والعلم» (من مقدمة كتابه «المبادئ الاولى»، ٨).

فاوريجانوس يميّز اذن بين معان ثلاثة للكتاب المقدس: المعنى التاريخي، والمعنى الصوفي، والمعنى الأخلاقي. وهذه المعاني الثلاثة تقابل اجزاء الانسان الثلاثة ألا وهي الجسد والنفس والروح. كما انها تقابل وتتوافق مع درجات الكمال الثلاث وهي الهروب من العالم، والصراع مع الشيطان، والعبور الى الله. فالمعنى الصوفي يمثل المعنى المشترك والشامل والكوني للسرّ، امّا المعنى الاخلاقي فيمثل المعنى الداخلي والشخصي للانسان. ثم ان اوريجانوس يدافع عن المعنى الحرفي للكتاب المقدس ويعطيه تفسيراً رمزياً ليتخلّص من الاحراج الذي يسبّبه له المعنى الحرفي ذاته. ويذهب الى حد التأكيد على ان لكل ما يتضمّنه الكتاب المقدس «معانٍ روحية، ولكن ليس لكل ما جاء فيه من معانٍ حرفية» (من كتابه «المبادئ الاولى»، ٤، ٣، ٥). وهنا نفهم نقطة الانطلاق التي منها انطلقت القرون الوسطى في مبالغاتها الرمزية، ذلك ان فكر اوريجانوس قد تعرّض لتأثير «فيلون» الاسكندري الى حدّ انه يتنكر احياناً كثيرة لواقع الكلمة بطريقة لا نجد لها مبرّراً، كما فعل «فيلون» نفسه. فهو يرى اذن المعنى الروحي في كل مقاطع الكتاب المقدس. وهكذا، فالكتاب

المقدس يجب ان يفسّر رمزياً اكثر منه حرفياً، وهذا ما دفع الى الخلاف بين مدرسة الاسكندرية الرمزية ومدرسة انطاكية الحرفية. غير ان النتيجة كانت نفسها في تلك المدرستين على صعيد العقيدة والمعنى الروحي للتوراة والانجيل على السواء.

مكتبة دير السيدة العذرا
برموس

القسم الثالث

أوريجانوس

الصوفي ورائد الحياة النسكية

١
مفهوم الكمال.

يأتي اوريجانوس في مقدّم كبار المتصوّفين المسيحيين، بل هو أحد الكبار الكبار. ولسوء الحظ فان هذا الجانب من تعليمه وأعماله قد أُهمل ولم يسترع الانتباه الذي يستحقه إلا منذ عهد غير بعيد. ويستحيلُ تقويم عقيدته وحقيقة شخصيته دون العودة بعمق الى فكره الروحي وتقواه لأنهما يحرّكان حياته وينعشان عقيدته. ولكي نفهم تحديده الكمال، فلا بد لنا من ان نلحظ ما جاء في كتابه «المبادىء الاولى»، ٣، ٦، ١، كما يلي: «عندما نقول «صنعه على صورة الله!»، دون ذكر التشابه، يعني بذلك ان الانسان نال كرامة الصورة عند عملية الخلق الاولى، غير ان كمال الصورة استبقي حتى انقضاء الاشياء اذ يتوجب على الانسان ان يستحق هذا التشابه في الصورة بعمله الشخصي ومحاولة اقتدائه بالله. فاستطاعة البلوغ الى الكمال قد منحت له منذ البدء بما تحمل الصورة من كرامة. ويبقى على الانسان ان يتمّ التشابه من خلال إنجازه الاعمال انجازاً تاماً في نهاية العالم. فاوريجانوس يعني، من خلال كلامه هذا، ان الخير الأسمى هو في ان «نصبح، قدر المستطاع، شبيهين بالله». كما يهدف الى دفعنا نحو الله بفضل نعمة

منه، دون ان يهمل جهودنا الخاصة، لأن أفضل السبل للتشبّه الأمثل به هو الاقتداء بالمسيح. فاذا لم يدعُ التلامذة لأن يصبحوا جميعهم رسلاً، فان كلّ البشر، في المقابل، لن يُدعوا الى دخول سبيل الاقتداء بالمسيح. وبهذا المعنى يقول: «ما من شكٍّ في ان كل الذين يؤمنون بالمسيح هم اخوة المسيح إلى حدٍّ ما. ولكن اذا ما اردنا حصر المعنى فوحدهم اخوة المسيح اولئك الذين يقتدون به وهم كاملون كما يقول القديس بولس في رسالته الاولى الى القرنثيين، الفصل الحادي عشر، العدد الاول: «اقتدوا بي كما انا اقتدي بالمسيح».

نجد هنا، كما نجد عند «كليمنضوس» استاذ اوريجانوس، تمييزاً واضحاً بين المؤمنين العاديين والنفوس المختارة. وفي مكان آخر يشبّه المسيحيين، الذين تلقّوا هذه الدعوة الخاصة، بتلامذة المسيح، بينما باقي الناس يشبّههم بالجموع التي كانت تصغي الى كلامه ووعظه. يقول اوريجانوس في هذا المعنى: «كان في نيَّة الانجيليين ان يبيّنوا، من خلال السرد الانجيلي، التمييز بين الذين كانوا يأتون الى المسيح. فبعضهم كان يكوّن الجمهور وهؤلاء لم يكونوا مدعوّين ليكونوا من التلامذة. أما الآخرون فهم الرسل الذين كانوا يتفوّقون على الجمع... فقد كتب ان الجمع وقف في الأسفل، بينما التلامذة كانوا يدنون من يسوع الذي صعد الى

الجبل حيث لم تكن الجموع تستطيع الصعود، كما جاء في انجيل القديس متى، الفصل الخامس: «فلما رأى يسوع الجموع صعد الى الجبل. ولما جلس دنا إليه تلاميذه ففتح فاه يعلمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات... إلخ» (١ ـ ٣). وفي الفصل الثاني من انجيل متى يقول ايضاً: «فانصرف من هناك وتبعه جمع كثير فشفى جميعهم» (١٥). وليس ثمّة ذكر لشفاء التلاميذ، فمن هو تلميذ يسوع ينعم بصحّة جيّدة، وهو بدوره يبتهل الى يسوع، لا كطبيب، بل من اجل قدراته الاخرى... وبين الذين يأتون على اسم يسوع، منهم من يعرف اسرار ملكوت السماوات، وهؤلاء هم التلاميذ. بينما الآخرون الذين لم يُمنحوا هذا العلم، فيمثّلون الجمع الذي يُعتبر أدنى من التلاميذ... فلاحظوا جيداً ان يسوع توجه الى التلاميذ قائلاً: «لكم أعطي ان تعرفوا اسرار ملكوت السماوات»، امّا عن الجمع فقال: «امّا هؤلاء فلم يمنحوا ذلك» (من تعليق على انجيل القديس متّى، ١١، ٤).

٢
معرفة الذات

ويظهر من كلام أوريجانوس ان المرحلة الاولى التي يجب ان تتحقّق بالنسبة الى الذين ارادوا الاقتداء بالمسيح هي البلوغ الى الكمال والتوصّل الى معرفة الذات. فضروري جداً ان نعرف ماذا علينا ان نفعل، وان نتجنّب، وان نحسّن، وان نحقّق. وبذلك يقول: «ملاحظاتنا هي موجّهة الى النفس التي هي في حالة التطور ولم تبلغ بعد قمّة الكمال. ونظراً الى تقدّمها الذي تحرزه على طريق الكمال يتحقق جمالها وصلاحها. غير انها ما تزال بحاجة الى بعض التحذيرات كي تضمن وصولها الى الكمال. فاذا لم تتمكن من معرفة ذاتها، واذا لم تتدرّب على طاعة كلمة الله والشريعة الالهية، فمصيرها عندئذٍ سيكون اللحاق بآراء مختلف المعلمين والرجال الذين لا يستندون على كلام الروح القدس في تعاليمهم. فالله، اذا صحّ القول، يحدّث النفس من الداخل كما لو كانت قد أصبحت في مكانها بين الأسرار. ولكن بما انها لا تهتمّ بمعرفة ذاتها، ولا تحاول ان تفهم ماهيتها، ولا تسعى لمعرفة ما يجب عمله او تجنّبه، قيل لهذه النفس: «تابعي طريقك كتلميذ يدفعه معلّمه بسبب غلطة الكسل هذه. فالخطر على

النفس كبير اذا ما تهاملت في التعرّف على ذاتها وفهم هذه الذات» (من تعليقه على كتاب «نشيد الاناشيد»، ٢، ١٤٣ ـ ١٤٥).

٣
الصراع ضد الخطيئة

إن معرفة الذات وفحص الضمير يتحقّقان عندما نشهر السلاح في وجه الخطيئة لأنها الحاجز الذي يحول دون بلوغنا الكمال. وهذا ما يفترض، بادىء ذي بدء، مصارعة الاهواء والعالم، لأن الاهواء تقود الى الخطيئة، والعالم كذلك. فغاية هذا المجهود هو التحرّر الكامل والمطلق من الأهواء، وتدمير هذه الأهواء. وللوصول الى هذا التحرّر، علينا اماتة الجسد بالتعذيب الذاتي وكبح الشهوات. ويمكن لهذا الصراع ان يوصل الى عدم الزواج. إن أوريجانوس لا يرفض فكرة الزواج، ولكنه يوصي بالعزوبية وبنذر العفة وطهارة النفس لمن يريد حقيقة ان يقتدي بالمسيح. يقول في ذلك: «اذا ما قدّمنا له عفّتنا وطهارة نفسنا، أعني عفّة الجسد، فانه سيمنحنا بالمقابل عفّة الروح. وهذه هي امنية الناصري التي تفوق كلّ امنية، لأن تقديم ابنٍ او ابنةٍ او بعض الماشية، او المال، كل ذلك ما هو إلّا تقدمةٌ خارجية. اما ان نقدّم ذواتنا لله ونرضيه، باستحقاق ذواتنا وليس باستحقاق الآخرين، فذلك يفوق بالكمال والسموّ على كلّ نذر آخر. ومن يصنع ذلك يكون قد اقتدى بالمسيح حقاً» (من عظة حول سفر العدد، ٢٧، ٢).

اذن أوريجانوس يعظّم المسيح الذي حمل الى العالم التبتّل، ويرى في هذا التبتل المثل الأعلى للكمال. وكذلك على المقتدي بالمسيح ان ينفصل عن عائلته ويتخلّى عن كل طموح بشري، بما في ذلك املاكه. وحدها هذه الرغبة تتيح له ان يجعل مكاناً لله في قلبه، وإلاّ فانه يستحيل عليه ان يحرز اي تقدّم داخلي.

٤
ممارسات التزهّد الصوفيّة

إن التجرّد الكامل عن العالم لا يمكن البلوغ إليه، في نظر اوريجانوس، إلا من خلال ممارسة التزهّد والتقشّف والتنسّك طوال الحياة. فتكريس الليالي للعبادة، الليالي المتلاحقة التي نأخذها من النوم ونحييها في الصلاة، هي ضرورية من اجل كسر شوكة الجسد. والاصوام القاسية تساعد الانسان على التغلب على شهوة جسدنا ايضاً. كما ان دراسة الكتاب المقدس المتواصلة، ليلاً نهاراً، تسهّل التركيز على الاشياء الالهية. وهذه الأمور كلها لا يمكن ان تتحقّق إلاّ بالعزلة والبعد عن الناس. لذلك، يجب ان تكون هناك حياة خلوة دائمة يكون فيها الانسان مكرّساً كلياً لله.

هذه التوصيات التي يشدّد عليها أوريجانوس جعلته رائداً في الحياة النسكية. فهو الى ذلك يعتبر فضيلة التواضع في الصدارة. ألم يطلب في عظاته وارشاداته من الذي يتوق الى الكمال ان يعتبر نفسه آخر الجميع؟ ثم ألم يعلن ان الكبرياء هي أصل جميع الخطايا وكل الشرور وسبب سقوط لوسيفورس؟ كلّ هذه الأمور هي سبيل الانسان الى الكمال والى التقرّب اكثر من الله. ثم

يعتبر اوريجانوس ايضاً ان التجرّد لا يتوقف على التجرّد الجسدي والمادي وحسب، بل ايضاً على التجرّد العقلي بحيث ان عقلنا يجب ان لا يشغل إلاّ بالله وحسب. لذلك كان مثالاً في العطاء الكلّي لله ولخدمته. ومن هنا منحه اللاهوتيّون والمؤرخون لقب رائد الحياة النسكية والرهبانية التي أتت بعده بسنين عديدة.

٥

مراحل الصعود نحو الكمال.

في عظته السابعة والعشرين عن سفر العدد يعطينا اوريجانوس وصفاً دقيقاً ومهمّاً ومفيداً عن مراحل الصعود نحو قمة الكمال، اذ يبدأ الطريق بالهروب من العالم بضعفه وفوضاه. وعندما ندرك ان الحياة على هذه الأرض ما هي إلاّ مرحلة انتقالية نكون حينئذٍ قد خطونا الخطوة الاولى نحو الكمال. بعد ذلك يتحتّم علينا ان نصارع الشيطان والشياطين من اجل حصولنا على الفضيلة. فزمن التطوّر والتقدّم يكون دائماً عبوراً خطراً. وكما ان بلوغ ضفة البحر الاحمر سجّل بداية التجارب عند الاسرائيليين، كذلك العبور الى الله. وبعد عمليات العبور المنتصرة لا تكون النفس قد خلصت بعد، لأن عليها ان تجابه اختبارات اخرى. ولا ننسى ان العذابات الداخلية التي تعانيها النفس ترافق كلّ مرحلة جديدة من مراحل الصعود نحو الكمال. فاوريجانوس يكثِر من الحديث عن هذه الاختبارات، فيقول: «اذا كان ابن الله، وهو ذاته الله، قد صار انساناً وتعرّض للتجربة، فليس من حقكم، انتم البشر بطبيعتكم، ان تتذمّروا عندما تأتيكم التجربة. واذا كنتم، خلال التجربة، تقتدون بالذي تعرّض للتجربة من اجلكم، واذا ما انتصرتم على كل

تجربة، فسيكون لكم رجاء فيه، هو الذي كان انساناً ولم يعد انساناً الآن... ذلك انه هو الذي كان انساناً في الماضي، وتعرّض للتجربة، بعد ان تركه الشيطان حتى لحظة موته، قام من بين الاموات ولن يموت ابداً. لكن كل انسان خاضع للموت، امّا هو فلن يموت بعد الآن، ولم يعد انساناً، بل هو الله. وبما ان الذي كان انساناً من الماضي هو الله، وبما انكم انتم ايضاً ستكونون بالضرورة مثله، عندما نصبح مشابهين له ونشاهده كما هو، فانتم حقاً ستصبحون إلهاً في المسيح يسوع الذي له المجد والسيادة الى دهر الدهور» (عظة عن انجيل القديس لوقا، ٢٩).

ولكن، بقدر ما تشتد وتعنف المعارك والصراعات، بقدر ذلك تمنح النفس التعزية. وعندما تسير النفس على درب الاقتداء بالمسيح راغبة بالكمال وتصارع ذاتها من اجله، ساعتئذٍ يولد في اعماقها توق عميق الى الاشياء السماوية والى المسيح. وهذا التوق السامي يساعدها على اجتياز كلّ الاختبارات، فضلاً عن موهبة الرؤى التي تعطى لها. وهنا يتحدّث اوريجانوس بوضوح يفهم القارىء من خلاله انّه اختبر هو بذاته، وبخبرته الشخصية، قيمة وهدف هذه النعم الحقيقية. تلك هي اشعاعات روحية وعقلية توصل إليها اثناء الصلاة وقراءة الكتب المقدسة التي تتيح للانسان مجال

رؤية اسرار الله. وأهمية تلك النعم الروحية تزداد كثيراً مع ترقّي النفس في صعودها حتى وصولها الى جبل طابور. يقول اوريجانوس في هذا المعنى: «إن كل الذين يشاهدون ويرون لا يمنحهم المسيح نعمة الوحي والالهام، بل كلّ واحد يأتيه هذا الالهام بما يتناسب مع طاقته على تقبّل النور. فعينا جسدنا ليستا مستنيرتين بنور الشمس: فبقدر ما نرتفع الى اماكن عالية، بقدر ذلك نرى من علُ عملية الشروق وندرك حرارة الشمس ومدى روعتها وعظمتها. كذلك روحنا، فبقدر ما ترتفع نحو المسيح وتهب ذاتها لروعة نوره، بقدر ذلك يشعّ فيها هذا النور وينتشر حولها رائعاً مضيئاً... وأخيراً، اذا كان في مقدورنا ان نرافقه الى قمة الجبل مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، ساعتئذٍ لا نعود نُمنح نور المسيح فقط، بل نسمع صوت الآب نفسه» (من عظة في سفر التكوين، ١، ٧).

يقول اوريجانوس: ان هدف هذه الرؤى تقوية النفس ضدّ الآلام المقبلة. إنها واحات في صحراء الاختبار والتجربة. اما المرحلة التالية فهي الاتحاد الروحاني بين النفس والكلمة الالهي.

٦

الاتحاد الصوفي باللوغس.

يشرح اوريجانوس هذه الحالة بمثلين رمزيين. فهو يتحدّث اولاً عن ولادة المسيح في قلب الانسان ونموّه في الأنفس التقيّة. غير انه يفضّل التعبير عن العلاقة التي تربط بين النفس و«اللوغس» بصورة زواج روحي اذ يقول ما يلي: «فلنتأمل النفس الراغبة، بجميع الوسائل، في الانضمام الى كلمة الله والدخول في اسرار حكمته وعلمه، كأنها تدخل الى مخدع العروس السماوي. فهذه النفس قد تلقّت النعم على شكل بائنة او مهر. وكما ان بائنة او مهر الكنيسة هي كتب الشريعة والانبياء، كذلك علينا ان نعتبر ان الشريعة الطبيعية والعقل والارادة الحرّة هي النعم المعطاة لزواج النفس. فانظروا الى تربيتها الاولى التي حصلت عليها من المرشدين والمعلمين كأنها مركبة حملت المواهب والنعم التي كوّنت بائنتها. ولكن، بما انها لا تجد في هذه المواهب والنعم الارتياح الكامل الذي يرضي رغبتها وحبها، فهي تصلّي كي تحصل نفسها على حميمية كلمة الله نفسه وتحوز على نوره المشعّ. فعندما يغمر العلم الالهي الروح، تدرك هذه الروح، ودون وسيط بشري او ملائكي، لأنّها تمنح قبلات كلمة الله. هذه القبلات، وغيرها تشابهها، تعني

ان النفس تقول لله في صلاتها: فليقبّلني بقبلات فمه. وطالما ان النفس بقيت غير قادرة على تقبل تعليم كلمة الله الكامل والجوهري، لذلك حصلت على قبلات اصدقائها فقط، أعني العلم الصادر عن شفاء معلّميها. ولكن عندما تبدأ ترى، بملء ارادتها، الاشياء المخبّأة، وتحل المسائل المعقّدة؛ وعندما تتمكن من فهم امثال الحكماء واحاجيهم فهماً صحيحاً، عند ذلك فقط تكون النفس قد مُنحت قبلات كلمة الله. فالكاتب يتكلم عن القبل بصيغة الجمع ليفهمنا ان تسليط الضوء على كلّ معنىً خفي هو قبلة من لدن كلمة الله توهب الى النفس الكاملة... ولعلّه المبدأ الذي دفع الروح الكامل والنبوي الى القول: «فتحت فمي وتنفّست لأني تشوّقت الى وصاياك» (مزمور ١١٨، ١٣١). ندرك هنا ان فم الحبيب هي القوة التي ينير بها الروح. وهو اذ يوجّه الى النفس بعض كلمات الحبّ لافتراضه انها أهلٌ لاستقبالها كائناً بهذا السموّ، يكشف لها عن كلّ الاشياء المجهولة والسريّة. تلك هي القبلة الأصدق، والأوفر قداسة، التي يوجهها الحبيب، كلمة الله، الى حبيبته النفس الطاهرة والكاملة» (من شرحه لنشيد الأناشيد، ١).

ان أوريجانوس ينوه، في كلامه على عرس النفس و«اللوغس»، بان ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى

الروحي العميق للصليب والمصلوب. فالمسيحي الكامل يتوجب عليه ان يتبع المسيح حتى في آلامه وموته على الصليب. وتلميذ المخلّص الحقيقي هو الشهيد كما يؤكد ذلك في حضّه على الشهادة. اما اولئك الذين يريدون الاقتداء بالمسيح ولا يستطيعون احتمال الشهادة بحدّ ذاتها، فعليهم بالموت الروحي، أعني بتعذيب الذات ورفض الملذات. فالشهيد والزاهد مثلهما الأعلى واحد وهو كمال المسيح.

هذه الآراء كانت الاساس عند الكثيرين من الكتاب الصوفيين في القرون الاولى وما بعد. ولقد انتقلت الى كتّاب الرهبانيات الاولى. كما كان لها تأثير كبير على تطوّر الحياة الرهبانية في العصور اللاحقة. لذلك اعتبر اوريجانوس بحق رائد الحياة النسكية ومن اهم المتصوفين في التاريخ المسيحي.

الخلاصة

في نهاية هذه الدراسة المفصّلة، الى حدٍّ ما، عن أوريجانوس، لا بُدَّ لنا، لتقييم هذا الرجل، من الأخذ بالكلام المأثور: «ما اختلف الناس إلاّ على عظيم». وفي الواقع، فان مؤلفاته التي تعدَّت الألفين شغلت العالم القديم والحديث، ولم يوجد عالم او لاهوتي او فيلسوف

او لغوي او متصوّف او شارح للكتاب المقدس إلاّ وعاد إليه، نظراً لما تركه للانسانية جمعاء، وبنوع خاص للكنيسة، من تراثٍ فكري جعل من الاسكندري المرجع والحكم في أمورٍ كثيرة. ورغم ان الكنيسة نفسها كان لها موقف سلبي من بعض تعاليمه، فان شهادة البابا لاوون الثالث عشر تكفي لتجعل منه المرجع، اذ يقول: «بين الشرقيين، يحتلّ اوريجانوس المركز الاول، نظراً لحيويته، ولتوقد ذهنه، ولمثابرته في عمله الذي فرض الاحترام والتقدير. فمن مؤلفاته التي لا تحصى غرف واقتبس واستمدّ جميع الذين أتوا من بعده» (من رسالة البابا لاوون(Providentissimus Deus). هذه الشهادة لعظيم آخر من عظماء المسيحية، وهو خليفة المسيح على كرسيّ بطرس، تكفي لتؤكّد على ما قلناه سابقاً في سياق هذه الدراسة عن ان أوريجانوس بقي وسيبقى المثل الذي يُحتذى به في اصغائه لكلمة الله في الكتاب المقدس، وفي تطهير نفسه وتقديسها على ضوء محبّته لله وللكنيسة، وفي طرحه القضايا اللاهوتية والفلسفية والكتابية من وجهة نظرٍ جديدة أدهشت المفكرين والعلماء حتى لُقّب بحق: المعلم. نعم هناك نقص في مذهبه الفلسفي واللاهوتي اذا ما أخذنا بمقياس تعاليم الكنيسة عبر العصور، وهذا ما دفع بعض المجامع لانزال الحرم به، ولكن نفسه المشتعلة بحبّ الله وبحبّ الكنيسة التي خوّلها محاكمته في نصّ استشهدنا به في

سياق الدراسة، تجعل منه، في نظرنا الضعيف، قديساً، وقديساً كبيراً. فآلام المسيح، وكلمة الآب الحيّة، نراهما تحرّكان وتطبعان كلّ كلمة في مؤلفاته. والذي يدعونا إليه والى عيشه في هذه المؤلفات، عاشه هو بكل دقّة حتى الشهادة. لذلك يمكننا القول باختصار: اوريجانوس هو الوعاء الذي تحطّم على يد بعض ابناء الكنيسة، ولكن عطره فاح وملأ المسكونة كلها. واذا لم يرفع على المذابح كالقديسين العظام، فان الله، في ايماننا واعتقادنا، هو وحده الذي يعرف الحقيقة، وهو وحده الأرحم والأشفق والأحب والعارف بخفايا القلوب. فلنترك لله الحكم النهائي، ولنستفد من عبقرية هذا الرجل الذي نعتبره في طليعة عظماء المسيحية في التاريخ.

القسم الرابع

مختارات من مؤلفات أوريجانوس

١

الله أتى في المسيح ليصالح العالم.

«لنأخذ بعين الاعتبار كلّ ما سبق اللحظة التي فيها حصل سمعان على هذا الامتياز بأن يحمل ابن الله: لقد اعطاه اولاً الروح القدس الوحي أنه لا يعاين الموت قبل ان يرى مسيح الربّ. دخل الهيكل ثانياً، لا عن طريق الصدفة، ولا من تلقاء نفسه، بل أتاه مدفوعاً بروح الله، وإن «جميع الذين يُقتادون بروح الله هم أبناء الله». فالروح اذن قاده الى الهيكل. فان أردت ان تحمل يسوع وتضمّه بين ذراعيك، وتصير أهلاً ان تخرج من سجنك، فاجتهد في ان تنقاد للروح فتصل الى هيكل الله.

«ولا غَرْوَ، فها انك منذ الآن في هيكل الرب يسوع، أعني في كنيسته، في هيكله المبني بالحجارة الحيَّة... اذا أتيت الهيكل مقتاداً بالروح، تجد الطفل يسوع فتأخذه بين ذراعيك وتقول: «الآن تطلق عبدك، يا رب، على حسب قولك، بسلام». لاحظ ان الخلاص والرحيل يرافقهما السلام... ومن يموت بسلام إلاّ الذي يملك سلام الله الذي يفوق كلّ فهم، ويصون قلب من يمتلكه؟ ومن يذهب بسلام من هذا العالم، إلاّ الذي يفهم ان الله أتى في المسيح ليصالح العالم»؟

٢

المسيح طريقنا الى الملكوت.

«سمعان رجلٌ صدّيق يتقي الله، على حدّ قول الانجيل. كان ينتظر تعزية اسرائيل، وكان قد أُوحي إليه بالروح القدس أنّه لا يرى الموت حتى يعاين مسيح الرب. والسؤال هو: ماذا استفاد سمعان من رؤية المسيح؟ أَوُعِد فقط برؤيته، دون ان توليه الرؤيا أمراً خلاصيّاً؟ أَم انَّ هذا الوعد يخفي حاضراً يليق بالله، استحقّ سمعان ان يقتبله؟

«لقد شفيت امرأةٌ من لمس طرف ثوب يسوع. فاذا تمتَّعت هذه المرأة بموهبة كهذه، ما عسانا نفكّر بسمعان الذي حمل الطفلَ على ذراعيه؟ وبينما كان سعيداً جدّاً بحمله، كان قلبه يبتهج لأنه يحمل الصغير الآتي ليخلّص الأسير، ليحلَّه من قيود جسده. وكان يعلم أن لا أحداً يمكنه ان يخرج احداً من سجن الجسد على رجاء الحياة الآتية، إلاّ ذاك الذي كان يحمله هو على ذراعيه. لذلك قال له: الآن يا رب أطلق عبدك بسلام، لأنّي قبل ان أحمل المسيح وأضمَّه بين ذراعيَّ كنت سجيناً لا أستطيع التخلّص من قيودي!» لنلاحظ ان هذا الأمر لا ينطبق على سمعان وحده، بل على الجنس البشري بأسره. إن اراد أحد ان يغادر العالم

ويربح الملكوت، فليأخذ يسوع بين يديه ويغمره بذراعيه ويضمّه الى صدره، وحينئذٍ يمكنه ان يقفز الى حيث يشاء».

٣
المسيح الذبيحة والكاهن

«أخذ ابرهيم حطب المحرقة وجعله على اسحق ابنه واخذ بيده النار والسكين، وذهبا معاً. ان اسحق الذي يحمل حطب الذبيحة هو رسمٌ للمسيح الذي حمل صليبه بذاته. وبما ان حمل حطب المحرقة يعود الى الكاهن فان المسيح هو في الوقت نفسه الذبيحة والكاهن. ثم ينادي اسحق ابرهيم اباه قائلاً: «يا أبت!» فكيف لا تجيش عاطفة الوالد في هذا الوقت الذي به عليه ان يضحّي بولده! وها هو يقول: «ماذا يا بنيّ!» فيتابع اسحق: «هوذا النار والحطب ولكن اين الحمل للذبح؟» واجاب ابرهيم: «ان الله ليرسل الحمل للمحرقة يا بنيّ!».

إن جواب ابرهيم يأخذ بمشاعري! يسأله ولده عن الحاضر فيجيب عن المستقبل متنبئاً: وقد أرسل الله الحمل بشخص المسيح! إذ «إن الحكمة قد بنت لها بيتاً» وهو «إتضع حتى الموت». وقد صنع المسيح كل

هذا باختياره وحريته.

«إن اسحق يمثل المسيح وان الحمل صورة له.

«المسيح هو كلمة الله، انما الكلمة صار جسداً. يتألم المسيح إنما في الجسد. يموت انما يموت فى جسده. والحمل قد كان صورة الجسد. أما كلمة الله، اي المسيح بالروح، وقد مثله اسحق فقد بقي بدون فساد. إنه بحسب الروح الذبيحة والكاهن، لأن الذي يقدم ذاته ذبيحة لأبيه بحسب الجسد، فانما يُقدَّم على مذبح الصليب. عنه قد كتب: «هذا هو حمل الله الحامل خطايا العالم»، وكتب ايضاً «انت هو الكاهن الى الأبد بحسب رتبة ملكيصادق».

٤

المسيح هو اساس البناء والمؤمنون هم الحجارة.

«نحن المؤمنين بيسوع المسيح يدعونا الكتاب المقدس حجارة حيَّة: «كونوا انتم ايضاً مبنيّين كالحجارة الحيّة، بيتاً روحياً، وكهنوتاً مقدساً، لاصعاد ذبائح روحية مقبولة لدى الله بيسوع المسيح» (١ بطرس، ٢، ٥).

«اذا كان الكلام على الحجارة الأرضية، فانّا نعلم ان

الحجارة الأشدّ صلابة توضع اولاً في الأساس، حتى يطمئنّ فوقها، بلا خوف، ثقل البناء كله. امّا بقية الحجارة الأدنى صلابة، فترصف فوق الجميع، حتى السقف.

«وينطبق ذلك على الحجارة الحيّة الروحيّة المرصوفة في بنائنا الروحي. وما هي تلك الحجارة التي في الأساس؟ هم الرسل والأنبياء، وفق تعليم القديس بولس: «وقد بُنيتم على أساس الرسل والأنبياء، وحجر الزاوية هو المسيح يسوع».

«فلكي تستعدّ، ايها السامع، لتشييد ذلك البناء، بنشاط أوفر، فتكون بين الحجارة القريبة من الأساس، عليك ان تعرف ان المسيح نفسه هو اساس البناء الذي نصف، يؤكده بولس الرسول: «لا يستطيع أحدٌ ان يضع أساساً غير الموضوع، وهو يسوع المسيح».

«فطوبى لاولئك الذين شيّدوا أبنية مقدّسة على الأساس العظيم! ولكن، في البناء الذي هو الكنيسة، ينبغي ان نبني لله مذبحاً. وإنّي لمتيقّن ان بينكم، انتم الحجارة الحية، من يسعهم ان يصيروا ذلك المذبح، وهم الذين آلوا على أنفسهم ان يتفرّغوا للصلاة، ليرفعوا الى الله تضرّعاتهم، ويذبحوا له ذبائح توسّلاتهم، ليل نهار.

«فمن هؤلاء يبني يسوع لنفسه مذبحاً!».

٥

المسيح يتوسط لأجلنا أمام وجه الله.

«ذاك الذي أخذ جراحنا وتألم لأجلنا كطبيب لنفوسنا وأجسادنا، أيُهمل الآن جراحنا في فسادها؟ «لأن جراحنا نتنةٌ ومصدّدة بسبب جنوننا»، كما يقول النبي.

«فهو إذن لأجلنا جميعاً واقفٌ أمام وجه الله يتوسّط لأجلنا: يقف على المذبح مقدّماً لله كفارة عنا؛ ولهذا، واذ عرف انه سيصعد على هذا المذبح، قال: «لا أشرب بعد من ثمار هذه الكرمة قبل ان أشرب خمرة جديدة معكم». فهو ينتظر اذن ان نرتدَّ إليه ونغتذي بمثله ونتتبع آثاره، لكي يفرح معنا، «ويشرب معنا الخمرة في ملكوت ابيه». فالرب الآن وهو الشفوق الرحوم «يبكي أكثر من رسوله، مع الباكين، ويرغب في ان يفرح مع الفرحين». ويبكي ايضاً اكثر على الذين أخطأوا ولم يتوبوا بعد. لأنه لا يجوز ان نفكّر بان بولس يبكي على الخطأة ويأسف على فاعلي الشرّ، بينما ينقطع يسوع عن البكاء عندما يصل الى الآب. إن الذي يصل الى المذبح، لا يشرب خمرة الفرح؛ وهذا يعني أنه لا يزال يتذوّق مرارة آثامنا. فهو لا يريد اذن ان يشرب وحده

الخمرة في الملكوت، بل ينتظرنا كما قال: «حتى أشربها معكم». في اهمالنا حياتنا نكون سبباً لتأخير فرحه».

(العظة ٧ على سفر الاحبار)

٦

المسيح يشرب الخمرة الجديدة مع القديسين.

«اذا كنّا فهمنا ما هي نشوة القديسين، وكيف وُعِدوا بها لاتمام فرحهم، فَلْنَرَ الآن كيف ان مخلّصنا لا يشرب بعد الخمرة الى ان يشرب مع القديسين هذه الخمرة الجديدة في ملكوت الله.

«لا يزال مخلّصي مغتمّاً من خطاياي، فهو لا يستطيع ان يفرح ما زلت مفسود الأخلاق. لماذا لا يستطيع ذلك؟ لأنّه شفيع خطايانا أمام الآب، كما يعلن ذلك صديقه يوحنا قائلاً: «اذا خطىء احدكم فلنا شفيع عند الآب، يسوع البار وهو كفّارة عن خطايانا». كيف يستطيع ان يشرب خمرة الفرح من كان ذاك الذي يتقدم من المذبح كفارةً عن خطاياي، والألم من ذنوبي يحزّ في صدره؟ «سأشرب هذه الخمرة معكم في ملكوت ابي». وما زلنا لا نعمل لنصعد الى الملكوت، فلا يستطيع ان يشرب وحده هذه الخمرة التي وعد ان يشربها معنا.

وسيظلّ حزيناً طالما نحن مثابرون على ضلالنا. فاذا كان رسوله «يبكي على بعض الذين أخطأوا ولم يتوبوا عن آثامهم»، ما عسانا نقول عنه، وهو ابن المحبّة، وقد بذل نفسه حباً لنا! ولم يطلب نفعه وهو المساوي لله، بل خيرنا، ولهذا عمل كأنه أفرغ نفسه! واذا كان قد توخّى خيرنا هكذا، أفلا يفتّش عنا بعد، ألا يفكّر بعد بنفعنا، ألا يتألم لضلالنا؟ ألا يبكي على هلاكنا وهو الذي بكى على اورشليم وقال لها: «كم مرّة اردت ان أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها ولم تريدي»؟

(العظة ٧ على سفر الأحبار)

٧

المسيح خاضعٌ للآب في اولئك الذين أخضعهم معه له.

«اذا كنت قد فهمت معنى الخضوع بجزءٍ والخضوع بالكليّة، عُدِ الآن الى ما كنّا نقوله عن خضوع الرب، وإليك الأمر: بما انه قيل إنّنا جميعاً جسده الخاص وأعضاؤه، فطالما يوجد بيننا مَنْ لم يخضع بعد خضوعاً تاماً، فيمكن القول إنه هو نفسه لم يخضع. ولكن، بعد ان يكون قد أتمّ عمله وقّاد خليقته باسرها الى الكمال الأسمى، يمكن القول إنه خاضع في اولئك الذين يكون قد أخضعهم للآب، والذين يكون قد أتمّ بهم العمل الذي عهد إليه به الآب، لكي يكون الله

كلاًّ في الكلّ.

«الى مَ يرمي هذا الكلام؟ لكي يُفهمنا ما رأيناه أعلاه: كيف لا يشرب الخمرة وكيف يشربها. كان يشربها قبل ان دخل بيت التقدمة، قبل ان يصل الى المذبح، غير أنّه لا يشربها الآن لأنه قائمٌ على المذبح حيث يبكي خطايانا. وسيشربها مجدّداً فيما بعد، عندما يُخضع له كلّ شيء، وبعد ان يخلُص الجميع، ويباد موتُ الخطيئة، لا يعود ثَمَّ من حاجة لتقديم الضحايا عن خطايانا. لأنه يكون عندئذٍ الفرح والغبطة، وتتهلّل العظام المنسحقة ويتمّ ما كتب: «لقد ولّى الألم والحزن والنوم».

(العظة ٧ على سفر الاحبار)

٨

المسيح يجعل مياه الشريعة المرّة عذبة

«وصلوا الى مارّة فلم يطيقوا ان يشربوا من مائها، لأنّه مرٌّ. ولذلك سميّت مارّة... فدلّ الربّ موسى على شجرة، والقى منها موسى في الماء فصار عذباً» (خروج ١٥: ٢٣ ـ ٢٥).

«إن شراب الشريعة مُرّ، ومرٌّ للغاية... ولكن اذا أرشدنا الله الى الشجرة التي يجب ان نلقيها في هذه

المرارة لتبدّلها بعذوبة، حينئذٍ نستطيع ان نشرب...

«يقول لنا سليمان ما هي هذه الشجرة عندما يدعو الحكمة «شجرة الحياة للمتعقّلين بها» (امثال ٣: ١٨). فاذا وضعت اذن شجرة الحكمة ـ المسيح ـ في الشريعة، مبيّنةً لنا كيف يجب ان نفهم الختان والسبت، وكيف يحافظ على التشريع عن البرص، وكيف يجب ان يُميّزَ الطاهر والنجس، حينئذٍ تصبح مياه مارَّة عذبة، وتتغيّر مرارة الشريعة بعذوبة الفهم الروحي ويستطيع شعب الله ان يروي ظمأه. لأنه اذا لم يُفسَّر هذا روحياً، فان الشعب الذي ترك الأوثان ومال نحو الله، عندما يسمع الفرائض في الذبائح، يرتدّ حالاً الى الوراء؛ إنه يستطيع ان يشرب فهو يشعر ان ثمّ ما هو مرٌّ وحامض...

«ولكي يمكن ان تُشرب مياه مارَّة هذه، يدل الله الى الشجرة التي يجب ان ترميها فيها، لكي لا يموت من يشرب منها، ولكي لا يشعر حتى بمرارتها. ويبدو من هذا أنه اذا شاء أحدٌ ان يشرب من الشريعة حرفياً، بدون «شجرة الحياة»، اي بدون سرّ الصليب وبدون ايمان المسيح وبدون الفهم الروحي، فمرارة هذا الشراب الشديدة تميته. وقال بولس الرسول، اذ عرف هذا: «ان الحرف يقتل». وكأنه يقول بصراحة: إن مياه مارّة هي قاتلة، اذا شُرِبَتْ قبل ان تتغيّر وتتحوّل الى عذوبة».

(العظة ٧ عن سفر الخروج، عدد ١)

٩

دم المسيح مشربٌ حقاً وجسده مأكلٌ حقاً.

«ينتظرنا ليشرب «من ثمار هذه الكرمة». أيّة كرمة؟ من تلك التي كان هو صورتها: «أنا هو الكرمة وانتم الاغصان». ومن هنا هذه الكلمة: «إن دمي هو مشرب حقاً وجسدي مأكلٌ حقاً»، لأنه «غسل رداءه بدم العنقود». ماذا ينتظر اذن؟ إنه ينتظر الفرح. الى متى ينتظر؟ «الى ان اتمّم صنعك». متى يتمّ هذا العمل؟ عندما يكون قد أتمَّني أنا، آخر الخطأة واشقاهم، وجعلني كاملاً؛ لأنّني ما زلت ناقصاً فعمله لم يكمُل بعد. اخيراً ما زلت غير خاضعٍ انا للآب، فلا نستطيع القول إنه هو نفسه خاضع له. وليس هذا لأن خضوعه للآب ناقصٌ، ولكن بسببي لأن عمله فيَّ لم يكمُل بعد. فيقال إنه غير خاضعٍ. وفي الواقع نقرأ: «اننا جسد المسيح واعضاؤه كل منا في جزء»، والحال لنرَ ما معنى «في جزء». انا الآن مثلاً خاضع لله بالروح، اي بالنيَّة والارادة، ولكن ما زال الجسد فيَّ يخالف الروح، والروح يخالف الجسد، وما زلت غير قادر على إخضاع الجسد للروح، فانا خاضعٌ لله أكيداً، ولكن ليس بكلّيتي بل «بجزءٍ» فقط. اما اذا توصلتُ الى ان أقمع جسدي وكلّ اعضائي و «أتناغم» مع الروح، فحينئذٍ أبدو خاضعاً بكلّيتي».

(العظة ٧ على سفر الاحبار)

١٠
جسد المسيح هو الكنيسة

«كتبتِ الكتب المقدسة ان جسد المسيح، الذي يحييه ابنَ الله، هو جماعة كنيسة الله. وتضيف ان أعضاء جسده، جملةً، هم المؤمنون. كما ان النفس تحيي وتحرّك الجسد ـ لأنَّ هذا لا يتمتَّع بالقدرة الطبيعيّة على الحركة التي يملكها الكائن الحيّ ـ هكذا الكلمة الذي يحرّك كما يقتضي، ويحيي الجسد بكامله الذي هو الكنيسة، يحرّك ايضاً كلّ عضوٍ من الكنيسة، التي هي ايضاً لا تأتي بعملٍ خارجاً عن الكلمة».

(ضد سيلسوس، ٨، ٧٢)

١١
العذراء مريم

«العذراء مريم، بعد حوارها مع الملاك، اصبحت أكثر جدارة وأهليّة لأن تكون أم ابن الله».

(عظة عن لوقا ١،٧)

«العذراء هي، بالنسبة الى جميع النساء، باكورة الطهارة والعفة. إنّه يعود إليها، وإليها وحدها، الفضل في اعلان بواكير البتولية».

(شرح لمتّى، ١٠، ١٧)

«العذراء مريم، بعد حوارها مع الملاك، كان عليها ان تصعد الجبل وان تبقى على القمم».

(عظة عن لوقا، ٧، ٣)

«قالت العذراء: من أنا لأكون أمّ ابن الله؟ إنّه نظر الى امته، انا التي لم أكن انتظر ذلك. ولكنني الآن انتقل من الأرض الى السماء، منجذبة الى مصير فائق الوصف».

(عظة عن لوقا، ٢٦)

«العذراء مريم فكّت أسر الضعف الأنثوي»

(عظة عن لوقا، ٨)

«كل نفس عذراء وغير فاسدة حبلت بارادة الآب من الروح القدس هي ام للمسيح»

(مقطع من عظة عن متى، ٢٨١)

«ساعة اقتبلت الروح القدس، خالق جسد السيد، وانوجد ابن الله فيها، امتلأت مريم من الروح القدس»

(عظة عن لوقا، ٧، ٣)

«لقد بقي بكراً ذلك الجسد الذي اعتبره الله مستحقاً ان يكون اداة لتحقيق هذه الكلمة: الروح القدس يأتي عليك وقوة العليّ تظلّلك»

(من تعليق على انجيل متى، ١٠، ١٧)

«يجب ان نلحظ ان العذراء مريم التي هي أرفع من أليصابات قد ذهبت إليها كما ذهب المسيح الى يوحنا المعمدان، وذلك يجب ان يعلّمنا ان لا نتأخر في مساعدة اولئك الذين هم أدنى منّا، كما يجب ان يعلمنا التواضع».

(عن يوحنا، ٦، ٤٩)

١٢
الحبّ البشري والحب الالهي

«كم هو جميل ومجيد ان يتلقى الانسان جراح الحبّ! فهذا يتلقى سهام الحب البشري، وآخر تجرحه الرغائب الأرضية. امّا انت، فقدّم، دون دفاع، كلّ اعضائك وسائر كيانك للسهم المختار، السهم الباهر الذي يرشقك به الله الرامي.

«اسمع الكتاب يتكلّم عن هذا السهم، او بالاحرى، يجعله يتكلّم: «جعلني سهماً مختاراً، وفي جعبته سترني، وقال لي: إنه لأمر عظيم لك؛ اني دعوتك عبدي» (اشعيا ٤٩: ٢ ـ ٦).

«افهم ما يقول هذا السهم، كيف اختاره الله، وكم هو سعيد حظّ الذين يجرحهم هذا السهم! فهو الذي جرح

التلاميذ عندما كانوا يتحدّثون مع يسوع في الطريق، فقالوا: «اما كان قلبنا مضطرماً فينا، عندما كان في الطريق يشرح لنا الكتب؟» (لوقا ٢٤: ٣٢).

(العظة عن نشيد الأناشيد، ٢، ٨)

١٣

الانسجام بين صفوف المجاهدين لأجل الله.

«لقد أحصينا جنودنا ولم ينقص منا رجل»... لم يقولوا إنّه لم ينقص أحدٌ من سائر الجنود، بل من «خاصة المجاهدين». لم ينقص احد من اولئك، فلا خلاف فيما بينهم. هم الذين قيل عنهم: «لم يكن للمؤمنين سوى قلبٍ واحدٍ ونفسٍ واحدة، ولم يكن أحدٌ يخصّ المجاهدين» الذين لم ينقص منهم احد، وحيث لا يوجد ايّ تفريق. وبعد ان غنموا أثناء المعركة ذهباً وافراً وتحفاً كثيرة، قدّموا كلّ هذا الكنز: إنّهم قدّموا له كلّ افكارهم واعمالهم. ولو كان أحد منهم تخلّف عن تلبية الدعوة لما استطاعوا تقديمها. وأرى ان المقصود هنا هو اولئك الذين يحافظون بدقةٍ على وصيّة الرب: «اذا ذهبت لتقدّم قربانك على المذبح، وتذكّرت ان لأخيك عليك شيئاً، اترك هناك قربانك، واذهب اولاً فصالح أخاك، ثم عد وقرّب قربانك»، هذا القربان الذي

يرفعون به أيديهم الى الله بدون غضبٍ ولا خصام. هؤلاء هم الذين يقولون: «أحصينا جنودنا ولم ينقص منّا أحد، ولهذا نأتي بقرباننا الى الربّ».

«علينا اذن ان نفقه علم الانسجام، اي إحكام التناغم. لأنه، كما في الموسيقى، اذا كانت الأوتار محكمة الانسجام، تعطي الآلة نغمةً عذبة للنشيد الموقّع، اما اذا كان في القيثارة اي تنافر، فيشوّش النغم ويجعله مزعجاً. وهذا ما يجري في صفوف المجاهدين لأجل الله. اذا كان ما بينهم شقاق وتنافر، فكلّ ما يعملونه يغيظ الله ولا ينال حظوة في عينيه، مهما أتوا من أعمال البطولة وكسبوا من غنائم وقدّموا من انواع القرابين».

(العظة ٢٦ على سفر العدد، ٢)

١٤
كنوزنا الحقيقيّة في السماء.

«لقد فتح ايليا السماء واغلقها قديماً، ولكن هذا لم يكن إلاّ لانزال او توقيف المطر. امّا الآن فالله يفتح لكم السموات ولكن ليصعدكم إليها، وليس لكي تصعدوا إليها وحسب، بل فوق ذلك، لكي تصعدوا الآخرين إليها، اذا شئتم. ما أعظم الجودة التي يعاملكم بها والسلطان الذي يوليكم اياه على كلّ ما هو له. ثم بما ان

لنا هناك بيتاً ووطناً، فلنخزنْ فيه كلّ ما نملك، فلا ندع شيئاً في هذه الدنيا لئلا نفقده.

«عندما تحفظون كنوزكم هنا، وراء مئة مفتاح وقفل، ويحرسها آلاف الخدم، وعندما تتجنبون كل شراك العدوّ وكلّ حيل حاسديكم، وعندما تنجو فضّتكم من الصدأ وتعجز الأعوام عن أن تؤثر على ما تملكون، ماذا أقول، عندما يحدث كلّ هذا، مع انه مستحيل، لا تستطيعون ابداً ان تتجنّبوا الموت ولا ان يسلب منكم كلّ شيء بلحظة، وربما يدفعه الى يد ألدِّ اعدائكم. ولكن اذا وضعتم كِلّ كنوزكم سلفاً في السماء تتغلّبون على كل هذه الشرور. ففي هذا المكان لا يحتاجون لا الى ابواب ولا الى اقفال ومزالج. ان المدينة التي يدعونكم اليها هي مأمونة وهي ملجأ لا يمكن لخبث الحسد ان يخترقه او يبلغه، ولهذا فلا يتعرض كنزكم للتلف».

١٥

الكنيسة سمّيت كنيسة حتى قبل الخلق.

«لا تحاول ان تعتقد ان الكنيسة سمّيت عروساً او كنيسة منذ تجسّد المخلص وحسب، بل بالعكس، منذ بداية الانسانية وخلق العالم. واذا اردنا ان نعود بعيداً في

الزمن، على مثال القديس بولس، فان هذا السرّ قد ابتدأ حتى «قبل خلق العالم».

(من تعليق على كتاب نشيد الاناشيد، ٢)

١٦

اوريجانوس ابن الكنيسة

«لقد جاء في انجيل القديس متى، الفصل الخامس، العدد الثلاثون: «وإن شكّكتك يدك اليمنى فاقطعها وألقها عنك، فانه خير لك ان يهلك احد اعضائك ولا يذهب جسدك كلّه الى جهنم». هذا عن يدنا الطبيعيّة التي تشككنا. ولكن إليكم ما يلي: اذا كنت انا الذي يعتبر، في نظر الآخرين، يد الكنيسة اليمنى، انا الذي أحمل اسم الكاهن ورسالته ان يعلن كلمة الله؛ اذا كنت اقترفت خطيئة ما ضد تعليم الكنيسة او ضدّ شريعة الانجيل، وقد اصبحت بذلك مثلاً عاطلاً للكنيسة فلتقطعني الكنيسة كلها، بقرار موحّد، انا يدها اليمنى، ولترمني بعيداً عنها. فانه لأفضل للكنيسة ان تصل الى ملكوت السماوات بدون هذه اليد التي تخزيها من ان تذهب معي الى نار جهنم».

(عظة عن هوشع، ٧، ٦).

١٧
المعمودية طريقنا الى المشورات الانجيلية.

«عندما تترك عتمة عبادة الأوثان، وترغب في الوصول الى معرفة الشريعة الالهية، عندها يبدأ خروجك من ارض مصر. عندما التحقت بفئة الموعوظين وبدأت تخضع لشرائع الكنيسة، عندها قطعت البحر الأحمر. في استراحة الصحراء تعكف كل يوم على الاصغاء الى شريعة الله وعلى التأمل في وجه موسى الذي يكشف لك عن مجد السيد. إنما عندما تصل الى ينبوع المعودية الروحي، وفي محضر المراتب الكهنوتية، تُلقَّن الاسرار السامية التي يعرفها فقط اولئك الذين لهم الحقّ في ذلك. عندها، وقد عبرت الاردن بفضل الكهنة، تدخل ارض الميعاد. هذه الأرض التي فيها يأخذك يسوع على عاتقه، عوضاً عن موسى، ويصبح لك الدليل لدربك الجديد.

«عندما نخرج من عتمة الضلال الى نور المعرفة، عندما نتحوّل عن حياة أرضيَّة الى اخرى روحية، عندها نخرج من مصر ونأتي الصحراء. وهذا يعني اننا نأتي الى نوعٍ حياتيّ حيث، وسط السكينة والهدوء، نمارس الشرائع الالهية ونتشبّع من التعاليم السماوية. ثم، بعد ان نكون قد تتلمذنا لهذه التعاليم وعبرنا الاردن، نسرع الى أرض الميعاد، أعني نصل، بنعمة المعمودية، الى

المشورات الانجيليّة».

(عظة في سفر العدد ٢٦، ٤)

١٨
التوبة والغفران

«قد يقول المستمعون: كان الاقدمون أوفر حظاً منّا، لأن الخطأة كانوا ينالون مغفرة خطاياهم، بتقدمة محرقات حسب طقوس مختلفة، امّا نحن فليس لنا سوى مغفرة واحدة للخطايا، تُعطى في البداية مع نعمة المعمودية، وبعدها لا رحمة ولا توبة للخاطىء. من الأكيد أنه يجدر بالمسيحي، الذي مات المسيح من أجله، ان يخضع لشريعة توبة أقسى. عند الأقدمين كانت النعاج والكباش والثيران تذبح، بالاضافة الى الطيور، كما كانت تُرشّ زهرة الطحين. امّا أنت فابن الله قد ذبح لأجلك، أفيلذّ لك بعد ان تخطأ؟ مع ذلك فلا تقطع رجاءك، بل تشجّع وعش حياةً فاضلة. لقد سمعتَ كم من المحرقات تنصُّ عليها الشريعة. فاليك الآن كم نوع من الغفران معروف في الانجيل:

«الاول هو المعمودية لغفران الخطايا. والثاني هو الاستشهاد. والثالث هو الحسنة. والرابع هو ان نغفر نحن بدورنا لاخوتنا. والخامس هو الاسهام في ارتداد

خاطئٍ عن ضلاله، لأن الكتاب المقدس يقول: من يردُّ خاطئاً عن ضلاله يخلّص نفسه من الموت، ويستر جمّاً من الخطايا. والسادس هو المحبّة العظمى، حسب قول الرب نفسه: الحقّ اقول لك، إن خطاياها الكثيرة تركت لها، لأنَّها أحبَّت كثيراً، وحسب قول الرسول: المحبة تستر جمّاً من الخطايا. والسابع إنّما هو التوبة، وهو أقسى وأصعب، أعني عندما يبلّل الخاطئ فراشه بدموعه، وحين لا يبقى من خبزٍ يومي سوى الدموع ليلاً نهاراً، وعندما لا يعود يستحيي من كشف خطاياه لكاهن الرب، ليحصل منه على الدّواء، على مثال من قال: أضعُ خطاياي أمامي، وإنك غفرت جهالات قلبي، وهذا يتجاوب وكلام يعقوب الرسول: هل فيكم مريض، فليدعُ كهنة الكنيسة ليصلّوا عليه ويمسحوه بالزيت باسم الرب. فان صلاة الايمان تخلّص المريض والرب ينهضه، وإن كان قد ارتكب خطايا تغفر له».

(من العظة في سفر اللاويين ١١، ٤)

١٩
التجرّد ميزة المسيحي الحقيقي

«أليس اذن من أغرب الزيفان ان نجمع ونحفظ كنوزاً هذا مقدارها في مكان تفسد فيه، وان لا نستودع

أقلَّ جزءٍ منها مكاناً لا تفقد منه، بل وتزداد فيه كثيراً، وخاصة معرفتنا اننا سنعيش في هذا المكان الى الأبد؟ وينتج عن هذا ان الوثنيين لا يؤمنون بشيءٍ مما نقول لهم، لأنهم يريدون ان يعرفوا حقيقة ديننا، ليس من كلٍّ منا، بل من أعمالنا وسيرة حياتنا. عندما يروننا منشغلين ببناء البيوت الفخمة وتزيين الجنائن وانشاء حمّامات مريحة وشراء عقارات كبيرة، لا يستطيعون ان يؤمنوا اننا نحسب نفوسنا هنا كغرباء يستعدّون لمغادرة الأرض ليعيشوا في مكان آخر. ويقولون: لو كان الأمر كذلك، لكانوا يبيعون كل ما عندهم هنا ويرسلونه امامهم الى المكان الذي يودّون الذهاب إليه! هذه هي طريقة برهانهم، اذ يلاحظون ما يجري في العالم كلّ يوم. لأننا نرى ان الأغنياء يبتاعون بيوتاً، خاصة في المدن او النواحي حيث يودون قضاء حياتهم.

«امّا نحن فنعمل العكس؛ نستقتل ونصرف كل وقتنا وكلّ ما لنا لكي يكون لنا بضعة بيوتٍ او حقولٍ على هذه الأرض، حيث نحسب انفسنا غرباء وعلينا ان نغادرها آجلاً أم عاجلاً، ولا ندفع حتى من الفائض عنا لنشتري السماء، مع انه باستطاعتنا ان نحقّق هذا بقليل من المال، واذا اشتريناها مرَّة واحدة نمتلكها الى الأبد.

«لهذا عندما نخرج من هذه الحياة فقراء وعريانين، نعاقب بأشد العذابات، ونسقط في هذا الشقاء البالغ

الحدّ، ليس لأننا عشنا في هذه اللامبالاة وحسب، بل لأننا جعلنا الآخرين يقتدون بنا. لأنه عندما يرى الوثنيون ان الذين يشتركون في اسرار هذه عظمتها، هم مولعون بهذا المقدار بالاشياء الحاضرة، يزيدون هم تعلّقاً بها. وهكذا كما يقول القديس بولس: «يركمون على هامتنا جمر نار». (روما ١٢، ٢٠).

٢٠
الشهادة الذاتية

«ليس ربحاً لي ولا كسباً ان يكون والدي شهيداً اذا لم أعش أنا نفسي حياة صالحة وأشرّف عشيرتي، أعني أن أشهد لوالدي وأشرّفه بان أكون مثله شهيداً للمسيح».

(عظة عن حزقيال النبي، ٤، ٨)

القسم الخامس

ملحق

هذا الملحق يقسم الى ثلاثة أقسام. الاول: المجامع المسكونية. والثاني: معجم الكلمات التي وردت في الكتاب او سترد في الموسوعة. والثالث: الالفاظ اليونانية والسريانية المتداولة كنسيّاً. وسيكون ثابتاً في جميع كتب الموسوعة تعميماً للفائدة. ولا بُدَّ من كلمة شكر للّذين رجعنا إليهم في مؤلفاتهم ومعاجمهم أو أخذنا عنهم لتحقيق هذا الملحق باقسامه الثلاثة.

ملحق أول

المجامع المسكونية

١ ـ **مجمع نيقيا ٣٢٥:** حرم آريوس الذي أنكر ألوهية يسوع المسيح ووضع قانون الايمان.

٢ ـ **مجمع القسطنطينية الاول ٣٨١:** حرم مقدونيوس والماسيدونيين الذين ينكرون ألوهة الروح القدس ومساواته للآب والابن في الجوهر.

٣ ـ **مجمع أفسس ٤٣١:** حرم نسطوريوس الذي أنكر ان تكون مريم العذراء أم الله.

٤ ـ **مجمع خلقيدونية ٤٥١:** حدّد طبيعتي المسيح الالهية والانسانية وحرم اصحاب الطبيعة الواحدة.

٥ ـ **مجمع القسطنطينيّة الثاني ٥٥٢:** شجب نسطوريوس واوريجانوس.

٦ ـ **مجمع القسطنطينيّة الثالث ٦٨٠ـ ٦٨١:** شجب المونوتوليّة او مذهب المشيئة الواحدة.

٧ ـ **مجمع نيقيا الثاني ٧٨٧:** شجب محاربي الايقونات.

٨ ـ **مجمع القسطنطينية الرابع ٨٦٩ ـ ٨٧٠:** عزل فوتيوس عن كرسي بطريركية القسطنطينيّة.

٩ ـ **مجمع لاتران الاول ١١٢٣:** تدخل في مسألة الرتب الكنسيّة. وقد نشأت المسألة من جرّاء الصراع العنيف الذي قام بين البابوية وأباطرة المانيا حول سيامة الأساقفة. واستمرّ من سنة ١٠٧٤ ـ ١١٢٢، وبلغ أشدّه ايام غريغوريوس السابع والأمبراطور هنري السابع، وانتهى بمبدأ الفصل بين السلطتين. فالسلطة الزمنيّة يمنحها الأمبراطور والسلطة الروحية يمنحها البابا.

١٠ ـ **مجمع لاتران الثاني ١١٣٩:** شجب السيمونيا (بيع الرتب الكنسية) وسوء استعمال السلطة الروحية، ونصح بعدم زواج الكهنة.

١١ ـ **مجمع لاتران الثالث ١١٧٩ـ١١٨٠:** اتّخذ اجراءات اوّلية ضد بدعة الكاثار.

١٢ ـ **مجمع لاتران الرابع ١٢١٥:** شجب بدعة الألبيجوا (او الكاثار) وحدّد عقيدة الاستحالة الجوهرية ونظم قوانين الكنيسة.

١٣ ـ **مجمع ليون الاول ١٢٤٥:** ضدّ فردريك الثاني.

١٤ ـ **مجمع ليون الثاني ١٢٧٤:** وهو محاولة للتقارب مع الكنيسة الشرقية، واتحاد الكنائس.

١٥ ـ **مجمع ڤيينا ١٣١١ ـ ١٣١٢:** حلّ منظمة الهيكل.

١٦ ـ مجمع كونستانس ١٤١٤ ـ ١٤١٨: وضع حدّاً للانشقاق في الغرب، وشجب جان هوس.

١٧ ـ مجمع فلورنسا ١٤٣٨ ـ ١٤٤٥: وهو محاولة للتقارب من جديد مع الكنيسة الشرقية، ضمن مخطّط اتحاد الكنائس.

١٨ ـ مجمع لاتران الخامس ١٥١٢ ـ ١٥١٧: محاولة اصلاح الاكليروس، وتحديد خلود النفس. ولكن محاولة الاصلاح كانت فاشلة.

١٩ ـ مجمع ترانت (التريدنتيني) ١٥٤٥ ـ ١٥٦٣: اصلاح الكنيسة الكاثوليكية: قرارات عقائدية حول الخطيئة الأصلية والتبرير والأسرار، وحرم البروتستانت.

٢٠ ـ مجمع الفاتيكان الأول ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠: حدد موقف الكنيسة من الايمان والمذهب العقلاني وأعلن عصمة البابا.

٢١ ـ مجمع الفاتيكان الثاني: الدورة الاولى: من ١١ تشرين الاول الى ٨ كانون الاول ١٩٦٢.

الدورة الثانية : من ٢٩ أيلول الى ٤ كانون الاول ١٩٦٣.

الدورة الثالثة : من ١٤ أيلول الى ٢ تشرين الثاني ١٩٦٤.

الدورة الرابعة : من ١٤ أيلول الى ٨ كانون الاول ١٩٦٥.

حضر هذا المجمع ٢٣٠٠ اسقف وتألف من ١٢ لجنة، واستغرق ١٤٠ جلسة، واجرى حوالي ٥٥٠ تصويتاً.

نتائجه: ٤ دساتير و ٩ مراسيم و ٣ اعلانات. النص الاساسي: دستور عقائدي للكنيسة. اما باقي النصوص فموزعة على مجموعتين:

١ ــ وثائق التجديد: قرارات في رسالة العلمانيين والاساقفة والرسالات. ودستور عقائدي في الوحي والليتورجيا.

٢ ــ وثائق الحوار: مع غير الكاثوليك، وغير المسيحيين، وغير المؤمنين، ومع العالم أجمع.

٣ ــ أسس الحوار ووسائله: الحرية الدينيّة، الكنيسة وعالم اليوم ــ وسائل الاعلام الاجتماعية.

ملحق ثانٍ

نثبت هنا ترجمة بعد كلمات وردت في هذا الكتاب او سترد في هذه الموسوعة تعميماً للفائدة:

١ ـ **أبولوجيست** (Apologiste): أسم أطلق على أناس كانوا يتوجهون بكتاباتهم الى الملوك والحكام والمنفذين دفاعاً عن الايمان، فهم محامو الايمان المسيحي.

٢ ـ **آريوس** (Arius): كاهن من الاسكندرية (٢٨٠ ـ ٣٣٦) ومؤسس الأريوسية التي أنكرت ألوهية المسيح. شجبه وحرمه مجمع نيقيا سنة ٣٢٥ مسيحية.

٣ ـ **أركان** (Arcane): بالنسبة الى التاريخ الكنسي هي عملية اطلاع الموعوظين تدريجياً على عقيدة الكنيسة.

٤ ـ **الأيكزومولوجيز** (Exhomologèse): هو الاعتراف العلني امام الجمهور وقبول العقوبة المفروضة منه.

٥ ـ **باتريباسيان** (Patripatiens): ضالبو الأب او الأبوية، وهو مذهب اولئك الذين يعتقدون ان الصلب وقع على الثالوث كله بشخص المسيح.

٦ ـ **المختارون المرذولون** (Pistiques Hyliques): كان معتنقو هرطقة الغنوصية يقسمون المسيحيين الى ثلاث فئات: الغنوصيون وهم النخبة ويخلصون بنعمة سامية، والبيستيك المختارون ويخلصون بواسطة الأسرار والأعمال الصالحة، وأخيراً الهليك او المرذلون وهم هالكون لا خلاص لهم لأنَّ فيهم يستقر عنصر الشرّ.

٧ ـ **البلاجيانية** (Pélagianisme): هرطقة من القرن الثالث تنتسب الى الراهب بلاجيوس، وتعتبر الحرية قيمة مطلقة وتؤمن بامكانية بلوغ الكمال على الأرض وتنكر مفعول النعمة والخطيئة الأصلية.

٨ ـ **البيغار** (Bégards): أسم أطلق على الهراطقة الذين ظهروا في القرن الثالث عشر وكانوا يرتدون لباساً على الرأس يحمل هذا الأسم ويعيشون من الاحسان.

٩ ـ **بيغين** (Beguine): اخويات المتعبّدات، وقد أطلق هذا الأسم على راهبات من بلاد الباسك وكنَّ يعشنَ في أنواع من الأديرة دون التقيّد بالنذور الرهبانية، ولكلّ واحدة طريقة حياة خاصة. ولقد أصبح الأسم يعني المتعبدات الكاذبات، أو

تصنّع العبادة.

١٠ ـ **التيتونية** (Teutonique): رهبانية فرسان عسكرية المانية أسسها الصليبيّون في اورشليم سنة ١١٢٨ مسيحية. ولكنها مارست نشاطها على الأخصّ في المانيا وانضمّ اليها في سنة ١٢٣٧ فرسان جماعة «السيف» لنشر الثقافة الجرمانية في بروسيا. وتحطّمت قواتها في تانانسبرغ سنة ١٤١٠، واستمرّ منها بقية في النسما بأسم «الوشاح الأسود».

١١ ـ **الديناميون** (Dynamistes): هرطقة اولئك الذين يعتقدون ان المسيح ليس سوى مظهر لقدرة الله، وينكرون التجسّد. يعود تاريخ وجودها للقرن الثالث المسيحي.

١٢ ـ **الدوسيتيّة** (Docétisme): هرطقة من القرن الثالث عشر تدّعي ان يسوع لم يكن له إلاّ مظهر الجسد، متأثرة بذلك بالفكر اليوناني.

١٣ ـ **الدوناتية** (Donatisme): هو مذهب الدوناتيين الذين ينتسبون الى دونات اسقف قرطاجة الذي أعلنته الكنيسة مبتدعاً وعزلته من منصبه في القرن الرابع المسيحي. وأصحاب هذا المذهب يعتبرون أنفسهم ورثة الرسل الوحيدين.

١٤ ـ **الدياسپورا** (Diaspora): كلمة تعني الشتات. والمقصود بذلك اليهود المشتتين خارج فلسطين لأسباب سياسية (إبعاد او نفي Déportation)، او لأسباب اقتصادية (الهجرة Emigration).

١٥ ـ **الغنوصية** (Gnosticisme): احدى هرطقات القرن الثالث المسيحي، وهي تدعي ان معرفة علم الخلاص مختلفة عن الايمان ومحصورة بفئة قليلة، أعني بالنخبة. وكذلك تدّعي انها على علم تام بجوهر الطبيعة وخصائص الله. وهي قريبة من الافلاطونية والمانوية.

١٦ ـ **الكاثار** (Cathares ou Albigeois): المطهّرون: هم ورثة المانويين الذين، بعد شجبهم، التجأوا الى أرمينيا في آسيا، ثم عادوا الى أوروبّا (ألبانيا، بلغاريا، لومبارديا، وتولوز في فرنسا). وهم يرفضون الأسرار، والطقوس الليتوريجية، والسلطة الكنسية، وحقّ التملّك، وينكرون المطهر وقيامة الموتى. ويحبّذون الانتحار الذي يحرّر الروح من الشرّ. شجبهم مجمع ألبي ومجمع لاتران سنة ١١٧٩ مسيحية. وقد تمّ القضاء عليهم بعد حرب صليبيّة دامت عشرين سنة، أقرّها إينوشنسيوس الثالث بقيادة سيمون

دي مونفور، ثم لويس الثامن.

١٧ ــ مارسيون (Marcion): هو تاجر غني من سينوب (Sinope) على ضفاف البحر الأسود. أسّس كنيسة خاصة في روما سنة ١٤٦ مسيحية. ولقد تأثر بالخلاف القائم بين العهد الجديد والعهد القديم فرفض العهد القديم لأنه وجد فيه تناقضاً «بين إله العهد الجديد، إله المحبة الذي ظهر لنا بشخص يسوع، وبين إله العهد القديم، إله الحقد والجريمة، خالق عالم الشرّ». ولقد حارب تعليمه وعقيدته ترتوليانوس.

١٨ ــ المانوية (Manichéisme): هرطقة من هرطقات القرن الثالث المسيحي، أسّسها مانى آومانيس (٢١٦ ــ ٢٧٧)، وتقول بمبدأين إلهيّين: إله الخير وإله الشرّ.

١٩ ــ المونار كيانية (Monarchianisme): وهو المذهب الكاثوليكي المستقيم القائل بوحدة الله في الاقانيم الثلاثة دون جعلهم ثلاثة آلهة او إخضاع أحد الأقانيم للآخر.

٢٠ ــ المونتانية (Montanisme): هرطقة من هرطقات القرنين الثالث والثاني. أسّسها كاهن فريجي يدعى مونتان (Montan). اتباعها اعتبروا أنفسهم

الكنيسة الجديدة، وأنكروا السلطة الكنسية، ودعوا الى مناقبية صارمة، وأعلنوا ان نهاية العالم قريبة. ولقد التحق بهم ترتوليانوس سنة ٢٠٧ مسيحية.

٢١ ـ **الموداليست** (Modaliste): المشبهة او النمطيّة. هرطقة تدّعي ان الله باستطاعته ان يتّخذ جميع الاشكال. من آثارها ما ورد في القرآن عن المسيح: ولم يصلبوه، وانما شبّه به لهم. ويعني ذلك ان المسيح كونه الله لم يقع عليه الصلب، انّما الذي صُلب هو شخص شبيه بالمسيح.

٢٢ ـ **الموعوظية** (Catéchuménat): وهي المدّة التي كان يحتاجها المقبل على اعتناق الديانة المسيحية ليصبح أهلاً لتقبّل الأسرار، إذ كان عليه ان يخضع لتجارب وتعاليم خاصة بالموعوظين، ولم يكن من حقّه حضور القداس بكامله بل القسم الاول منه.

٢٣ ـ **الميتانويا** (Métanoia): وتعني الارتداد، وهو تبديل تام في المواقف الفكرية والقناعات الوجدانية.

٢٤ ـ **الألفيّة** (Millénarisme): هو مذهب بعض الكتاب المسيحيين من القرون الاولى للمسيحية وبعض الهرطقات اللاحقة التي كانت تؤمن ان المسيح سيعود الى الأرض ليملك مدّة ألف سنة قبل قيامة الموتى.

٢٥ ـ **المحسوبية** (Népotisme): امتياز كان يتمتّع به، لدى البابوات، اولاد (ابناء الأخوة) او انسباؤهم، بشكل خاص، او عائلاتهم بشكل عام. وهو يعني، في النهاية، استعمال السلطة لمصلحة الأقارب.

٢٦ ـ **الاغتباطية** (Quiétisme): الكلمة من أصل لاتيني معناه الهدوء. وهو مذهب صوفي يجعل الكمال المسيحي في محبّة الله وجمود النفس دون اعمال خارجية. وكان لهذا المذهب ممثلون في كل العصور، أشهرهم الاسباني مولينوس Molinos، وقد نشر، في القرن السابع عشر، كتاباً عن الزهد يجعل من الديانة شيئاً مثالياً صعب الفهم على العامة. امّا في فرنسا فقد تبنّت رأي مولينوس إمرأة شهيرة هي مدام غويون Guyon المتعبّدة، وألّفت كتاباً في الموضوع ذاته سنة ١٦٨٥، كما دعمها فينيلون Fénelon في كتابه شرح آراء القديسين، فهاجمه بوسويه

Bossuet ومدام دي منتينون Maintenon، وحرم البابا كتابه، فاستجاب فينيلون لنداء البابا واعتزل الحياة العامة، فانطفأ المذهب نهائياً ابتداءً من سنة ١٦٩٣.

٢٧ ـ **التصوّف او الصوفية** (Mysticisme): هو معرفة مباشرة وتجريبيّة لله، او بالأحرى هو حالة تختبر فيها النفس الله اختباراً مباشراً. وفي رأي برغسون Bergson المتصوّف هو من يفتح طريق الدين الديناميكي ويرى الله مباشرة، أو على الأقل يدركه بواسطة تماس مباشر داخلي. والعقل عاجز عن ادراك الله، فالله لا يدرك إلاّ بواسطة حدس. والمتصوف يجد في تعاليم اللاهوتيين الألفاظ والصور التي يمكنه ان يترجم بواسطتها ما يشعر به ويشاهده داخلياً. اما التجربة الصوفية فلا تقدم لنا أية معلومات عن طبيعة الله. فالله محبة، وهو موضوع المحبة، ومحبة الله ليست شيئاً من الله، بل هي الله ذاته.

٢٨ ـ **الاسميّة** (Nominalisme): او المذهب الاسمي، وهو يقول ان الكلمة الكليّة مجرّد اسم ولا مسمّى له في ذاته، اي انها إسم لا يشير الى «تصوّر» في عقل الانسان (كما هو مذهب التصوّريين وعلى رأسهم أرسطو)، ولا هي تشير الى مسمّى في

الكون الخارجي (كما هو مذهب الشيئيين او الواقعيين وعلى رأسهم افلاطون).

٢٩ ــ الاوراتوار (Oratoire): جمعية رهبانية أسّسها القديس فيليبّوس النيري في روما سنة ١٥٦٤ ونقلها الى فرنسا الكاردينال بيرول سنة ١٦١١. وقد قدّمت لفرنسا أساتذة وعلماء وواعظين عظماء جداً.

٣٠ ــ الأكامية (Occamisme): المذهب المنسوب الى غيوم دوكام، وهو راهب فرنسيسكاني انكليزي من أشهر علماء اللاهوت المدرسي وأكبر المدافعين عن مذهب الأسمية، وقد لقب بالدكتور الذي لا يقهر، وهو أبو المذهب الاختباري الذي يعتبر ان كل معرفة تقوم على التجربة.

٣١ ــ الأنغليكانية (Anglicanisme): الديانة الرسمية لانكليترّا. ويعود تاريخها الى الملك هنري الثامن الذي قطع علاقته بالبابا لأنه لم يوافقه على فسخ زواجه من كاترين داراغون. والملك هو رئيس الكنيسة الانغليكانية. ومع ان أعضاء هذه الكنيسة اعتنق بعضهم البروتستانتيّة، فانها حافظت على نقاط التقاء كثيرة مع الكنيسة الكاثوليكية، واهمها تسلسل السلطة.

٣٢ ـ **تجديديّ العماد** (Anabaptistes): هم شيعة من الهراطقة الألمان من اوائل القرن السادس عشر، وأكثر المنتمين إليها من القرويّين، وقد قضى عليها الأشراف الألمان بقيادة لوثير، في يوم فرانكينهوزن سنة ١٥٢٥.

٣٣ ـ **الاوفكلارونغ** (Aufklerung): عصر الانوار، وهو تيار فكري كان سائداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في فرنسا وأهم ممثليه فولتير والموسوعيون.

٣٤ ـ **سان ــ بارتيليمي** (Saint Barthélemy): وهي مذبحة البروتستانت ايام شارل التاسع في فرنسا بأمر كاترين دي ميديسيس وآل غيز ليلة ٢٣ آب ١٥٧٢. وقد حدثت المذبحة في اليوم الثاني لاحتفالات زواج هنري دي نافار الذي أصبح هنري الرابع، ومارغريت أخت شارل التاسع. وبدأت المذبحة في باريس على قرع الاجراس. وكانت نتيجتها الحرب الأهلية الخامسة.

٣٥ ـ **الترابيست** (Trappistes): رهبانية اوروبيّة. من ممارساتها الصمت، والمحافظة على السكوت المطلق دائماً، والانقطاع للتأليف والصلاة. أسّسها سنة ١٦٦٤ أرمان دي رانسي في النورماندي الفرنسيّة.

٣٦ ـ **الجانسينيّة** (Jansénisme): انه المذهب المنسوب الى جانسينيوس الهولاندي والمعروض في كتابه «الأغوسطينوس»، وهو يحدّ من حرية الانسان. ومن انصاره سان سيران وأرنولد وپيير كيني في فرنسا. وقد قام صراع بين اليسوعيين وجماعة پور رويال وعلى رأسهم پاسكال حول الموضوع. ولكن هذا المذهب انتهى بعد هدم دير پور رويال، ولا تزال كنيسة صغيرة في هولاندا تدين به.

٣٧ ـ **الجوزيفيّة** (Joséphisme): طريقة في التفكير والحكم منسوبة الى الامبراطور جوزف الثاني الالماني النسماوي الذي شجّع الافكار الفلسفية في القرن الثامن عشر وحاول اصلاحاً في امبراطوريته ففشل، ويسمّى مذهبه ايضاً «المذهب الاستبدادي المستنير».

٣٨ ـ **الدييت** (Diète): مؤتمر سياسي على شكل جمعية وطنية كان يتمّ دورياً في مدن الامبراطورية الالمانية وفيه تجري مناقشة القضايا العامة. وأشهر هذه المؤتمرات مؤتمر أوغسبورغ سنة ١٥١٨ وورمس سنة ١٥٢١، وامامه إمتثل لوثر، ونورامبرغ سنة ١٥٣٢...

٣٩ ـ **الدروينيّة** (Darwinisme): نسبة الى مذهب

داروين البيولوجي والفلسفي. والدروينية تعني، في مقابل التطورية العامة، مذهب الاستحالة الذي يقول بأن الانواع يخرج الواحد منها من الآخر، وبان النوع الانساني خرج من الانواع الحيوانية، ولكن دون عرض فرضية عن أصل الحياة او الاتجاه العام لنموّها. وفي مقابل نظرية لامارك وسبنسر المؤلفة من جراء التمرين والوراثة فهي نظرية استحالة الانواع وترجع اصلاً الى الانتخاب الطبيعي.

٤٠ ـ **زوانكل** (Zwingle): هو اورليك زوانكل. مصلح سويسري، ولد في ولدهاوس قرب سان جيل. دعا الى إلغاء عزوبية الكاهن والقداس. إجتاح مذهبه قسماً كبيراً من سويسرا. وبعد موته إنضمَّ اتباعه الى اتباع كالڤن ولوثير (١٤٨٤ ـ ١٥٣١).

٤١ ـ **السكرمانتاريون** (Sacramentariens): شيعة من اتباع لوثير رفضوا الايمان بالحضور الالهي الحقيقي في الافخارستيا.

٤٢ ـ **الشارترو** (Chartreux): رهبانية اوروبية إهتمَّت بحياة النسك والتقشّف، واتّبعت قانون القديس مبارك. أسّسها القديس برونو دي كولوني سنة ١٠٧٤ في وادٍ جبلي يدعى Cartusio.

٤٣ ـ **صراع الثقافة** (Kulturkamph): وهو الصراع الذي قام بين الدولة البروسية والكنيسة الكاثوليكية في اواخر القرن التاسع عشر حول الاشراف على الثقافة.

٤٤ ـ **الغاليكانية** (Gallicanisme): مذهب يدافع عن امتيازات الكنيسة الفرنسية وحريتها ومبادىء سلوكها بالنسبة الى الكرسي الرسولي مع استمرارها شديدة الارتباط بالايمان الكاثوليكي. ويضع العصمة، ليس في البابا وحده، بل في جسم الاساقفة كله المتحد برئيسه. ويدافع عن سلطة المجامع العاملة المطلقة، ويفصل بين السلطة الزمنية. وقد جُمعت هذه المباديء في بيان اكليروس فرنسا الذي كتبه بوسويه سنة ١٦٧٢. ولكن اعلان عصمة البابا في المجمع الفاتيكاني سنة ١٨٧٠ شجب الغاليكانية.

٤٥ ـ **غراڤامينا** (Gravamina): وثيقة بالشكوى التي قدمتها الأمة الالمانية الى السينودس الاقليمي في مايانس ١٤٥٥ حول الضرر الحاصل للكنيسة الالمانية من جانب الكوريا الرومانية.

٤٦ ـ **فودوا** (Vaudois): شيعة تنسب الى مؤسسها پيير فالدو (القرن الثاني عشر)، وقد قضى على القسم الأكبر منهم فرانسوا الأول. إشتهروا بصلابة

الاخلاق، وما تزال لهم بعض الكنائس في ايطاليا.

٤٧ ـ **فلسفة علم الظواهر** (Phénoménologie): او مذهب القائلين بالظواهر، ويستعمل بمعنيين: الاول بمعنى النظرية القائلة بان علمنا بالاشياء مقصور على معرفة الظواهر دون حقائقها. والثاني بمعنى النظرية القائلة ان كل ما نعلمه ظواهر، وان الظواهر هي كلّ شيء في الوجود، ومعنى الظاهرة في هذه النظرية هو الحقيقة الماثلة امام العقل، اما مباشرة او بطريق الاستنتاج.

٤٩ ـ **كالڤن** (Calvin): هو جان كالڤن المولود في نوايون وناشر الاصلاح في فرنسا وسويسرا، ورئيس الكالڤانيين. مات في جنيڤ بعد ان اقام جمهورية بروتستانتيَّة (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤). يمتاز مذهبه عن المذاهب البروتستانتية بديمقراطية السلطة الدينية وإلغاء الاحتفالات، ونفي التقليد المطلق وعقيدة الاختيار وقبول العماد والعشاء السرّي من الأسرار، ويطلق على اتباعه إسم هوغونوت في فرنسا. مذهبه منتشر في سويسرا وهولاندا وهنغاريا.

٥٠ ـ **الكانتية** (Le kantisme): مذهب الفيلسوف الالماني عمنوئيل كانت، مؤلف نقد العقل الصافي والعقل العملي، نقد الحكم (١٧٢٤ ـ

١٨٠٤) وهو دراسة وصفيّة كما تتراءى لنا في الزمان والمكان خلافاً للدراسة القوانين المجرّدة والثابتة التي تنظم الظواهر، وخلافاً للدراسة الحقائق العالية التي تكوّن الظواهر تبديات لها، وخلافاً للنقد المعياري الذي يتطرّق لشرعية هذه الظواهر.

٥١ ـ **التحرّرية** (Libéralisme): او المذهب الحرّ. أشهر مؤسّسيه الفيلسوف كوك، ويعتبر ان العلاقة الطبيعيّة بين الناس علاقة كائن حرّ بكائن حرّ تؤدّي الى المساواة. حق الناس ينحصر في تنمية حريتهم والدفاع عنها وعن كل ما يلزم من حقوق.

٥٢ ـ **التاريخانية** (Historicisme): تعني ان وضعنا كموجودين يدفعنا الى استخدام حريتنا في نزوع نحو المستقبل رغم اننا موجودون في الزمن ومرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالماضي. فالتاريخانية اذن ملتصقة بالوجود البشري بصفته مندمجاً بالحينونة الخاصة.

٥٣ ـ **التجديديّة** (Modernisme): حركة في الفكر الكاثوليكي معارضة للطريقة القديمة التي كان يمثلها «الوجوديون» أتباع القديس توما وسكوت، سعت الى تأويل تعاليم الكنيسة على

ضوء المفاهيم الفلسفية والتاريخيّة العصرية.

٥٤ ـ الذاتانيَّة او المذهب الذاتي (Subjectivisme): وهي تعني من الناحية الميتافيزيائية المذهب الذي يرجع كل الوجود الى الذات ويقول ان الاشياء الخارجية لا وجود لها إلاّ فى الذات، وهو المذهب المثالي عند فخته وشلنغ. امّا من الناحية المنطقية فهي تعني المذهب القائل ان معيار الحقيقة ليس معياراً موضوعياً، بل هو معيار ذاتي بالنسبة الى الذات المدركة. ومن الناحية الاخلاقية تعني المذهب القائل ان اللّذات والسعادة الفردية والنفع على وجه العموم يجب ان يكون المعيار الذي تقاس به الأشياء الاخلاقية. ومن الناحية النفسية تعني المذهب القائل ان التجربة في علم النفس يجب ان تكون تجربة باطنية.

٥٥ ـ مذهب العيانية (Ontologisme): مذهب فلسفي يزعم أصحابه ان الانسان يعايش موضوع تصوّراته في الله، مباشرة وبدون واسطة. ويطلق عليه العرب احياناً لفظة الشهودية نسبة الى شهود، والشهود عندهم هو رواية الحق بالحق.

٥٦ ـ مذهب التقليدية (Traditionalisme): ويسمّى ايضاً المذهب السلفي الذي ينتمي اليه لويس دي

بونالد، وجوزف دي مستر، والذي ظهر في القرن الثامن عشر معارضاً للمذهب الفردي. فهو ينكر عليه ان الفرد كائن برأسه، وان الاجتماع وليد اتفاق بين الافراد. ويعارض هذه الدعوى بتوكيد ضرورة الاجتماع وينكر عليه دعواه ان العقل الفرد يبلغ الى الحق بقوّته الذاتية، ويعارضه بارجاع العلم الانساني الى وحي اول نزلت به من لدن الله الفاظ اللغة والمعاني المقابلة لها فتناقلها السلف.

٥٧ ـ **المتطهرون** (Puritains): شيعة بريسبيتارية نشأت في انكلترا وايقوسيا، ويدّعون أنهم أكثر أمانة من غيرهم لمعنى الكتاب المقدس، وتشدّدهم في موضوع الاخلاق أوقعهم في صلابة مرعبة مضرّة للحياة. وعلى أثر ثورة سنة ١٦٤٨ اضطهدهم آل ستيوارت فهاجر قسم كبير منهم الى أميركا.

٥٨ ـ **التأليهيّة** (Le déisme): نظرة فلسفية قديمة (ارسطو) تعني التأليه المحض، وهي الاعتقاد ان الله خلق الطبيعة ولكنه لا يتدخل في المجرى الذي حدّده لها. ثم تطوّر الى الاعتقاد بامكان الوصول الى الحقيقة بواسطة قوى العقل الطبيعيّة دون الحاجة الى التسليم بالوحي. وقد شاع هذا المعنى في الفلسفة الانكليزية في القرن الثامن

عشر، ويمثل عقيدة الدين الطبيعي. ومنه اللادينيّون القائلون بالألوهية والمنكرون للأديان.

٥٩ ـ **النقـديـة** (Criticisme): هذا المذهب النقدي صاحبه الفيلسوف الالماني «كانت»، ويريد به الجمع بين التجربة والعقل مصدراً للمعرفة. فالعلم بالشيء مرجعه الى التجربة، لكن الادراك الحيّ لا يستقيم بغير مبادىء اوليَّة بديهيَّة لا تستمد من التجربة بل تقدم في الذهن، سابقة للتجربة.

٦٠ ـ **الهوغونوت** (Huguenots): هم اتباع كالڤان في فرنسا وهي تشويه للكلمة الالمانية أيدجنوسين Eidgenossen ومعناها المتحد بالقسم.

٦١ ـ **الهيغليّـة** (Hégélianisme): مذهب الفيلسوف الالماني جورج فردريك هيغل (١٨٧٠ ـ ١٨٣١)، او مذهب الجدل، ويتـألـف من مراحـل ثلاثـة: الفـرضيَّـة ونقيضهـا والتأليف بينهما Thèse, antithèse, synthèse.

٦٢ ـ **الهرمزيانية** (Hermésianisme): رأي الكنيسة حول موضوع تربية الاولاد بالنسبة الى مذهب أهلهم. وهو القائل بضرورة تربية الطفل على المذهب

الكاثوليكي في الزواج المختلط، وينسب الى أحد الباباوات.

٦٣ ـ الكوريا الرومانية (La curie romaine): لقد تمّ تنظيم هذه المؤسسة منذ اوّل كانون الثاني سنة ١٩٦٨، وهي تشمل مجامع ومحاكم ومكاتب وامانات سرّ. فالمجامع متساوية في الحقوق فيما بينها. وتتألف من أعضاء كرادلة واساقفة يسمّيهم البابا لمدّة خمس سنوات، والاساقفة المقيمون يشتركون في الاجتماعات ويتمتّعون بكامل الحقوق ومنها معالجة أهم القضايا وتحديد الاتجاهات الكبرى (حضورهم ليس ضرورياً في روما إلاّ مرة واحدة في السنة). وعلى رأس كلّ مجمع كردينال مدير ونائب مدير وسكرتير ونائب سكرتير يعيّنهم البابا لمدّة خمس سنوات. يساعدهم مستشارون يسمّيهم البابا لمدّة خمس سنوات ويختارهم من الاساقفة والكهنة والرهبان والعلمانيين حسب طبيعة الاعمال في كل مجمع. وما تزال اللغة اللاتينيّة لغة المجامع الرسمية، انما يمكن استعمال اللغات الحديثة. ومن واجبات الكردينال سكرتير البابا (امين سرّ الدولة البابوية) ان يجمع مدراء المجامع بشكل دوري فيؤلفون مجلساً استشارياً وزارياً.

٦٤ ـ **سكرتاريا البابا:** ومجلس المشورة لشؤون الكنيسة العامة. سكرتارية البابا او امانة سرّ الدولة البابوية ـ انه أرفع تنظيم في الكوريا. يرأسه الكردينال امين سرّ الدولة ويساعده معاون ووكيل. والسكريتارية تحت تصرّف البابا لكل المهام التي يعهد بها إليها. فهي تؤمن العلاقات مع المنظمات الاخرى في الكوريا وعلاقات البابا مع الاساقفة ومع السفراء ومع الحكومات وسفرائها ومع الافراد. يرتبط بها مكتبان للرسائل والوثائق البابوية، ومكتب لجمع المعلومات واقوال الصحف، ومكتب الاستشارات الاجتماعية، ومكتب للاحصاء، ومكتب حكومة الفاتيكان، ومجلس استشاري لقضايا الكنيسة العامة.

٦٥ ـ **المجامع الرومانية:** مجمع الايمان المقدس الذي يسهر على نقاء العقيدة والاخلاق. ومجمع الكنائس الشرقية وهو المسؤول عن جميع القضايا العائدة للأفراد والنظام والطقوس في الكنائس الشرقية المرتبطة بروما. ومجمع الاساقفة ويشمل المكتب الاستشاري لقضايا الكنيسة العامة ومدراء المكاتب والاساقفة وتنظيم الابرشيات، والتعليم المسيحي، والاكليروس.

ومجمع الاسرار المقدسة ويشمل كل ما له علاقة بقبول الاسرار وادارتها والاحتفال بالقربان المقدس وسيامة الكهنة. ومجمع الطقوس، ومجمع الاكليروس، ومجمع الرهبان، والمؤسسات العلمانية، ومجمع الاعداد الكاثوليكي ويهتم بالاكليريكيات والمدارس. ومجمع نشر الايمان ويهتم بنشر الايمان المسيحي بين الأمم.

٦٦ ـ **امانة السرّ والمجالس الاستشارية:** امانة سرّ الوحدة المسيحية ـ امانة سر غير المسيحيين وتشمل قسماً خاصاً بالمسلمين ـ امانة سرّ غير المؤمنين ـ المجلس الاستشاري للعلمانيين ـ البعثة البابوية للعدالة والسلام، وتهتم بمساعدة المظلومين والفقراء في العالم الثالث.

٦٧ ـ **المحاكم:** المحكمة العليا للأختام الرسولية وفيها غرفة استئناف وتمييز، وغرفة ادارية. ومحكة الروتا وتختص بقضايا الزواج. والمحكمة الرسولية وتختص بالقضايا الضميرية.

٦٨ ـ **المكاتب:** مكتب الاختام وهو المكلّف بالبريد وتوزيع الوثائق البابوية ـ المكتب الرسولي ومهمّته المحافظة على ممتلكات الكرسي الرسولي في الفترة الممتدّة بين وفاة البابا

وانتخاب خلف له ـ مكتب تموين الكرسي الرسولي وهو المسؤول عن ادارة املاك الكرسي الرسولي ـ مديريّة المال وهي شبيهة بديوان المحاسبات يرأسها ثلاثة كرادلة. مكتب الاحصاء. مكتب مدير القصر الرسولي وهو المكلّف بادارة الخدمات العامة والاحتفالات في القصر وتنظيم المقابلات.

ملحق ثالث

الألفاظ اليونانية والسريانية المتداولة كنسيّاً

١ ـ **أبدياقون:** يونانية. وهي درجة دون الشمّاسية، وتسمّى درجة الشدياقية.

٢ ـ **أبرشية:** يونانية. وهي ولاية الأسقف الكنسية.

٣ ـ **أرخيدياقون:** يونانية. تعني رئيس الشمامسة، وهي درجة دون درجة الكاهن.

٤ ـ **أسقف:** يونانية. تعني الرقيب والناظر. والاسقف هو رئيس الكهنة الذي يتولّى تدبير الابرشية ويراقب امورها الدينيّة.

٥ ـ **أمولوغيا:** يونانية. تعني الاقرار والاعتراف. وهو كتاب الاعتراف بصحة الايمان والمعتقد يوقّعه البطريرك الجديد قبل تقليده الرتبة، والاسقف قبل سيامته وتوليته درجة الاسقفية.

٦ ـ **أنبا:** يونانية. وتعني الأب. وتطلق خاصة على رئيس الدير. امّا الأقباط فيطلقونها على البطاركة والاساقفة ولكن بادخال لام التعريف عليها.

٧ ـ **أنتيفونا:** يونانية. وهي أبيات صلوات يتلوها الكهنة ويردّدها الشعب بعدهم.

٨ ـ **باعوث:** سريانية وتعني طلبة. وهي أبيات شعرية على اوزان ثلاثة تتلى يومياً في اثناء صلاة الفرض. ولقد عرفها البعض بصلاة الاستسقاء او الاستمطار. ويطلقها نصارى العراق على صوم نينوى وبعض نصارى بلاد الشام على حفلة دينية لبعض اعيادهم.

٩ ـ **برديوط:** يونانية. وتعني نائب الأسقف او كبير الكهنة. وقد يسمّى بالسريانية الساعور وهو الراهب القسّيس الذي يوفده الأسقف في بعض مهام الرعية.

١٠ ـ **بسالطوس:** يونانية. وتعني المرتل. وهي أصغر الدرجات الكنسيّة.

١١ ـ **بطريرك:** يونانية. وتعني رئيس الآباء، وهو رئيس رؤساء الاساقفة.

١٢ ـ **بيت كاز:** سريانية. وتعني مخزناً يراد به عند السريان مجموعة الاناشيد الكنسية.

١٣ ـ **تبرة:** يونانية. بيت من الشعر يتلى في مقدمة كل باعوث.

١٤ ـ **تكشفت:** سريانية. وتعني ابتهال. وهو نوع من الأناشيد السريانية المنثورة وضعها رابولا مطران الرها.

١٥ ـ **ترجام:** سريانية. وتعني خطبة يفسر فيها فصل الانجيل الذي سبقت تلاوته.

١٦ ـ **تسبحة:** سريانية. وتعني التسبيح والتمجيد. وهي صلاة تتلى في صلاة الليل يومياً.

١٧ ـ **جاثليق:** يونانية. وتعني العام الكلّي. وهي رتبة دون البطريرك وفوق الأسقف.

١٨ ـ **حبيس:** سريانية. وهو ناسك حبس نفسه في صومعة تعبّداً لله.

١٩ ـ **حتّام:** سريانية. وتعني خاتمة. وهو بيت من الشعر يتلوه الكاهن في آخر الصلوات والقداس.

٢٠ ـ **حسّاية:** سريانية. وتعني استغفار وغفران. وهي صلاة منثورة مسهبة يُتلى منها في القداس والصلوات وايام الآحاد والاعياد والصيام.

٢١ ـ **خرونيقون:** يونانية. تاريخ يومي تدوّن فيه الاحداث سنة فسنة.

٢٢ ـ **خورابسقوپوس:** يونانية. وتعني اسقف الكورة، ولقد خفّفت فقيل خوري. والمقصود بها اليوم

مقدّم الكهنة عند البعض، وعند البعض الآخر في بلاد الشام الكاهن على الاطلاق.

٢٣ ـ **دبتخا**: يونانية. تعني ذو اللوحين، وهو لوح كانت تسجّل فيه اسماء أئمّة الدين المتوفين والاحياء. وكان يتلى في اثناء القداس في الايام الحافلة، ويعرف عند السريان بسفر الاحياء او الحياة. وقد أهمل بعدئذٍ.

٢٤ ـ **دنح**: سريانية. وتعني الظهور. ويراد بها عيد الغطاس.

٢٥ ـ **ديدسقالية**: يونانية. وتعني دار التعليم. اعطيت لمدرسة الاسكندرية اللاهوتية التي أُنشئت سنة ١٨٠ مسيحية، ثم أطلقت اصطلاحاً على مجموعة السنن والرسوم المنسوبة الى الرسل الاطهار وتلامذتهم.

٢٦ ـ **دير**: سريانية. مسكن الرهبان الذين يتعبّدون لله ويتفرّغون للصلاة والتأمل.

٢٧ ـ **ربّان**: سريانية. وتعني الاستاذ. ولقد اريد بها اصطلاحاً الراهب القسيس.

٢٨ ـ **زومار**: سريانية. وتعني ترتيل. وهي آية من مزامير داود النبي يلحق بها جملة منظومة تتلى قبل الانجيل.

٢٩ ـ **سبـار**: سريانية. تبشير. يراد بذلك ايام صيام وميلاد السيد المسيح في مدينة الموصل وجوارها، حيث تنشد الادعية بمولده حسب الجسد.

٣٠ ـ **ستيخـارا**: يونانية. نوع من الأناشيد البيعيّة وضعها القديس يوحنا فم الذهب.

٣١ ـ **سـدر**: سريانية. بكسر السين وتسكين الدال، ومعناها ترتيب، وهو الجزء الثاني من صلاة الحسّاية.

٣٢ ـ **سطيخـون**: يونانية. اصلها ستيخون ومعناها بيت شعر، وهي صنف منثور من الاناشيد دبّجه القديس كيرلـّوس الأورشليمي.

٣٣ ـ **سوسطـاثيقـون**: يونانية. كتاب العهد اي تقليد الولاية للاسقف يكتبه البطريرك.

٣٤ ـ **سـونتـرنيـس**: يونانية. الاجلاس على كرسي الاسقفية او على العرش البطريركي، وهي حفلة تقام للحبر الجديد عند دخوله الى ابرشيته.

٣٥ ـ **سيـامـة**: سريانية. تقليد اصحاب الدرجات الكهنوتية والاسقفية حق القيام بوظائفها، وتعني وضع اليد من قبل الاسقف على رأس المرسوم.

٣٦ ـ **شحيم:** سريانية. باسكان الشين ومعناها البسيط، وهو اسم لكتاب فرض الصلوات اليومية التي تكرّر اسبوعياً.

٣٧ ـ **شمّاس:** سريانية. وتعني الخادم. وهو دون القسيس ومعاونه في اثناء القيام بحق العبادة والخدم الكهنوتية.

٣٨ ـ **شملاية:** سريانية. وتعني تكميل واتمام. وهي احدى ستة ادعية يتلوها الشماس في اثناء القداس ذكراً للأحياء والموتى.

٣٩ ـ **شوباح:** سريانية. التسبيح. نوع من الاناشيد المنثورة التي تتلى في اثناء خدمة القربان.

٤٠ ـ **طقس:** يونانية. نظام وترتيب. وفي العرف الكنسي يطلق على شعائر الديانة وحفلاتها.

٤١ ـ **طروفوريون:** يونانية. طروبارية. نوع من الاناشيد النثرية استنبطت في اواسط القرن الخامس مسيحي.

٤٢ ـ **عدّان:** سريانية. وقت، أوان. اهل الشام يستعملونها بهذا المعنى ويراد بها الصلوات التي تقام في نوبات متتابعة فيقال: العدّان الاول والثاني... ويقابلها القومة.

٤٣ ـ **عِقْـب:** سريانية. بكسر العين. وتعني نهاية. وهو دعاء يلي دعاء العطر.

٤٤ ـ **عنيـان:** سريانية. وتعني جواب. وهي ترتيلة تعاد (ردّة).

٤٥ ـ **غنيز:** سريانية. باسكان الغين والابتداء بالساكن، وتعني خفي، محجوب. وهو نشيد منثور يشابه التكشفت.

٤٦ ـ **فردا:** سريانية. قطعة فصل وهي انشودة صغيرة.

٤٧ ـ **فـروميّـون:** يونانية. فاتحة مقدسة، يسمّى بها الجزء الاول من صلاة الاستغفار.

٤٨ ـ **فنقيت:** سريانية. وتعني مجلّد والمجموع العام. اسم احد كتب الفرض اي الصلاة على الاطلاق.

٤٩ ـ **قـاثسمـا:** يونانية. واصلها كاثسما، ومعناها مجالس نوع من التراتيل البيعيّة المنثورة.

٥٠ ـ **قـال:** سريانية. قول وصوت. وهو ترتيلة منظومة تنشد بلحن خاص من الاول الى الثامن.

٥١ ـ **قانـون:** يونانية. قانون، نظام تسبيح بيعي منثور استنبطه اندراوس الكريتي حوالي سنة ٧٠٠ مسيحية، وعمّ استعماله.

٥٢ ـ **قـداس:** سريانية. تقدمة القربان الالهي، او

الذبيحة الالهية، او الصلوات التي تتلى على الخبز والخمر لتقديسها.

٥٣ ـ **قس وقسّيس:** سريانية. بفتح القاف. وتعني الشيخ الذي يقلّد خدمة الكهنوت في الكنيسة المسيحية.

٥٤ ـ **كلندار:** يونانية. لائحة الفصول والشهور والايام واعياد السنة.

٥٥ ـ **كوراخ:** سريانية. ترتيلة وجيزة او لحن ينتابه الصفان في البيعة.

٥٦ ـ **كوروزوثا:** سريانية. وتعني مناداة او انذار. وهي نشيد منظوم كان يتلى في الاعياد الحافلة قبل قراءة الانجيل اذا قرأه الاسقف ومن فوقه. ومن هذه اللفظة فعل كرز الذي يستعمله بعض كتبة النصرانية بمعنى بشّر بالدين ونادى به ودعا اليه.

٥٧ ـ **ليتورجيا:** يونانية. الخدمة الجمهورية. وهي مجموع صلوات القداس ويقال لها ايضاً أنافورا وهي لفظ يوناني معناه رفع القربان.

٥٨ ـ **مار:** سريانية. وتعني سيّدي. وتطلق على القديسين والبطاركة والاساقفة.

٥٩ ـ **مدراش:** سريانية. ترتيل، نشيد. وهو شعر يصاغ

على اوزان مختلفة والحان شتّى بلغ عددها الخمسماية. دبّجها القديس افرام السرياني (+ ٣٧٣)، وقد استنبطها برديصان (+ ٢٢٢).

٦٠ ـ **مدبرونوث:** سريانية. وتعني تدبير وسياسة. عنايةالله. ويراد بها هنا ما اقتضته سياسة السيد المسيح بالنسبة الى خلاص البشر.

٦١ ـ **مرميث:** سريانية. تعني اصلاً شيء يرمى به. وهي صلاة وجيزة وقسم من المزامير متفاوت العدد أكثره ١٤ وأقلّه ٤ مزامير.

٦٢ ـ **مسحة:** سريانية. زيت مقدس يدهن به المعتمدون والمرضى.

٦٣ ـ **مطران:** يونانية. اصلها متروبوليت ومعناها رئيس العاصمة. يراد به الاسقف او رئيس الاساقفة المقيم في مدينة كبيرة.

٦٤ ـ **معبران:** سريانية. ضرب من الاناشيد السريانية المنثورة ترتل في تشييع الجنائز.

٦٥ ـ **معذعذان:** سريانية. باسكان الميم. عيد حافل. وهو اسم كتاب يشتمل على الأدعية التي تتلى في حفلات الاعياد الكبرى.

٦٦ ـ **معنيث:** سريانية. اغنية. ترتيلة. وهي نشيد منثور

يجري على الالحان الثمانية. يفتتح بآية من الكتاب المقدس ويقال له باليونانية أكطويخس ومعناه ذات الالحان الثمانية، وربما اراد به القدماء النشيد على الاطلاق.

٦٧ ـ **مفـريـان:** سريانية. وتعني المثمر. وهو اسم لصاحب رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية مرادفة للجاثليق، وهو دون البطريرك وفوق الاسقف. وكان كرسيه في تكريت ثم نقل الى دير مار متى فالموصل.

٦٨ ـ **ملفـان:** سريانية. وتعني المعلم والاستاذ. يراد به أحد أئمَّة النصرانية وعلمائها. والملفنة تعني الدكتوراه.

٦٩ ـ **مـوربـو:** سريانية. وتعني تعظيم. وهي اللفظة الاولى من نشيد العذراء مريم «تعظم نفسي الرب»، وهو ترتيل منثور يدور على الحان ثمانية ويرنم به يومياً. ويعني ايضاً نشائد التعظيم.

٧٠ ـ **ميـرون:** يونانية. بفتح الميم وكسرها. واصله باليونانية مورون. وهو زيت مقدس ممزوج بالبلسم ومعطر بطيوب. تمسح به الهياكل والمذابح الجديدة، وكذلك يستعمل في سيامة الاساقفة والكهنة.

٧١ ـ **ميمر**: سريانية. مقالة. خطبة. قصيدة.

٧٢ ـ **ناقوس**: سريانية. مضراب المسيحيين كانوا يدقّون به لاوقات صلواتهم. وهذا التحديد ينطبق على الناقوس القديم وهو قطعة من خشب صلب او حديد تعلق فتضرب بمطرقة خشب او حديد. وقد استبدل بالجرس النحاسي في ما بعد كما نرى ذلك اليوم.

٧٣ ـ **هيكل**: سريانية. موضع في صدر الكنيسة يصلّي فيه الاكليروس عند تقدمة القربان. وربّما اطلقه بعضهم على بناء الكنيسة كلها او صحنها، وجمعها هياكل.

المراجع

١ ـ من مؤلفات اوريجانوس

Origène : Traité des principes:
- Tome I. Livres 1 et 2: Introduction, texte critique et traduction. H. Crouzel et M. Simonetti, 1978.
- Tome II. Livres 1 et 2: Commentaire et fragments. H. Crouzel et M. Simonetti, 1978.
- Tome III. Livres 3 et 4: Texte critique et traduction, H. Crouzel et M. Simonetti, 1980.

Origène : Contre Celse. M. Borret.
- Tome I. Livres 1 et 2, 1967.
- Tome II. Livres 2 et 3 et 4, 1968.
- Tome III. Livres 5 et 6, 1969.
- Tome IV. Livres 7 et 8, 1969.
- Tome V. Introduction et index, 1976.

Origène : Homélies sur la Genèse. H. de Lubac. L. Doutreleau, 1976.

Origène : Homélies sur le Cantique. O. Rousseau, 1966.

Origène : Entretien avec Héraclide. J. Scherer, 1960.

Origène : Homélies sur Josué, A. Jaubert, 1960.

Origène : Homélies sur S. Luc. H. Crouzel, F. Fournier, P. Périchon, 1962.

Origène : Commentaire sur S. Jean. C. Blanc:
- Tome I. Livres 1 - 4, 1966.
- Tome II. Livres 6 et 10, 1970.
- Tome III. Livres 13, 1975.

Origène : Commentaire sur l'Evangile selon Matthieu. Tome I. Livres X et XI, R. Girod, 1970.

Origène : Philocalie 21 - 27 (sur le libre arbitre), E. Junod, 1976.

Origène : Homélies sur Jérémie. P. Nautin et P. Husson. Tome I. Introduction et homélies I - XI, 1976.

Origène : Homélies sur Jérémie. Tome II. Homélies XII - XX et homélies latines, Index. P. Nautin et P. Husson, 1977.

٢ ـ بعض ما كتب عن اوريجانوس.

Arnou, R. : Le thème néoplatonicien et la contemplation créatrice chez Origène et chez Saint Augustin: Greg 13 (1932) 124 - 136.

Bardy, G : Origène: DTC 11, 1489 - 1565.

Bardy, G : Les traditions Juives dans l'oeuvre d'Origène: R Bibl 34 (1925) 217 - 252.

Bardy, G : Origène. Paris, 1931.

Bardy, G : Les citations bibliques d'Origène dans le De principiis: R Bibl 16 (1919) 106 - 136.

Bardy, G : La règle de foi d'Origène: RSR 9 (1919) 162 - 196.

Bardy, G : La spiritualité d'Origène: VS 31 (1932) 80 - 106.

Bonnefoy, J.F. : Origène théoricien de la méthode théologique: Mélanges F. Cavallera, Toulouse, 1948, 87 - 145: analyse du De principiis.

Bertrand, F. : Mystique de Jésus chez Origène. Paris, 1951.

Cadiou, R. : Introduction au système d'Origène. Paris, 1932.

Cadiou, R. : La jeunesse d'Origène. Histoire de l'école d'Alexandrie au début du IIIe siècle. Paris, 1935.

Capelle, B. : L'Entretien d'Origène avec Héraclide: Journal of Ecclesiastical History 2 (1951) 143 - 157.

Capelle, B. : Origène et l'oblation à faire au Père par le Fils, d'après le papyrus de Toura: RHE 47 (1952) 163 - 171.

Cavallera, F. : Origène éducateur: BLE (1943) 61 - 75.

Cavallera, F. : La doctrine d'Origène sur les rapports du Christianisme et de la société civile: BLE (1937) 30 - 39.

Crouzel, H. : Théologie de l'image de Dieu chez Origène. Paris, 1956.

D'Alès, A. : La doctrine d'Origène d'après un livre récent: RSR 20 (1930) 224 - 268.

Daniélou, J. : Origène. Paris, 1948.

Daniélou, J. : Sacramentum futuri. Etudes sur les origines de la typologie biblique. Paris, 1950.

De Faye, E. : Origène, sa vie, son oeuvre, sa pensée. Paris, 1923 - 1928, 3 Volumes.

De Lubac, H. : Histoire et esprit. L'intelligence de l'Ecriture d'après Origène. Paris, 1950.

Hamman, A. : Guide pratique des Pères de l'Eglise. Paris, 1967.

Lebreton, J. : Les origines du dogme de la Trinité. Paris, 1910, 22 - 24.

Lebreton, J. : Les degrés de la connaissance religieuse d'après Origène: RSR 12 (1922) 265 - 296.

Lebreton, J. : La source et le caractère de la mystique d'Origène: AB 67 (1949) 55 - 62.

Maydieu, J.J. : La procession du Logos d'après le Commentaire d'Origène sur l'Evangile de Saint Jean: BLE (1934) 3 - 16, 49 - 70.

Peters, S.G. : Lire les Pères de l'Eglise. Cours de patrologie. Paris, 1981.

Pétré, H. : Ordinata Caritas. Un enseignement d'Origène sur la Charité: RSR 42 (1954) 40 - 57.

Quasten, J. : Initiation aux Pères de l'Eglise. Paris, 1955, 1956, 1962. 3 Volumes.

Rahner, K. : La doctrine d'Origène sur la pénitence: RSR 37 (1950) 47 - 97, 252 - 286.

Rahner, K. : Le début d'une doctrine des cinq sens spirituels chez Origène: RAM 13 (1932) 113 - 145.

Rougier, L. : Celse ou le conflit de la civilisation antique et du Christianisme primitif. Paris, 1925.

Seston : Remarques sur le rôle de la pensée d'Origène dans les origines du monachisme: RHR 108 (1933) 197 - 213.

Verfaillie, C. : La doctrine de la justification dans Origène d'après son commentaire de l'épître aux Romains. Strasbourg, 1926.

Von Balthasar, H.U.: Le mystérion d'Origène: RSR 26 (1936) 513 - 562; 27 (1937) 34 - 64.

الفهرس

صفحة

للمؤلف ٤
الاهداء ٥
القسم الاول: أوريجانوس الانسان والمعلم
والمؤلف والحكم في الكنيسة..... ٧
مقدمة ٩
١ ـ أوريجانوس المسيحي ١١
٢ ـ أوريجانوس رئيس مدرسة الاسكندرية ١٣
٣ ـ أوريجانوس صاحب المؤلفات الألفين ١٩
٤ ـ أوريجانوس وموقعه في الكنيسة ٢٥
٥ ـ أوريجانوس مؤسّس مدرسة قيصرية
فلسطين ورئيسها ٢٩
٦ ـ أوريجانوس وفلاسفة الاغريق ٣٣
٧ ـ أوريجانوس مؤسّس العلم التوراتي ... ٣٦
٨ ـ أوريجانوس المدافع عن العقيدة
المسيحية ٤٤
٩ ـ أوريجانوس صاحب أوّل خلاصة
لاهوتية ٥٣
١٠ ـ أوريجانوس الحكم والمرجع في
القضايا اللاهوتية ٦٠

القسم الثاني: أوريجانوس اللاهوتي الروحاني ... ٦٥
١ ـ أوريجانوس ومفهومه للصلاة ٦٧
٢ ـ أوريجانوس ومفهومه للشهادة ٧٤
٣ ـ أوريجانوس ومفهومه للثالوث الأقدس ٨٠
٤ ـ أوريجانوس ومفهومه لشخصية
المسيح ولتعاليمه ٨٧
٥ ـ أوريجانوس ومفهومه لأمومة العذراء . ٩٠
٦ ـ أوريجانوس ومفهومه للكنيسة ٩١
٧ ـ أوريجانوس ومفهومه لسرّ العماد
وللخطيئة الأصلية ٩٣
٨ ـ أوريجانوس ومفهومه لسرّ التوبة
ولمغفرة الخطايا ٩٥
٩ ـ أوريجانوس ومفهومه لسرّ الافخارستيا ٩٨
١٠ ـ أوريجانوس ومفهومه للثواب والعقاب
وللحياة الاخرى ١٠١
١١ ـ أوريجانوس ومفهومه لوجود النفوس
السابق ١٠٧
١٢ ـ أوريجانوس ومفهومه الرمزي للكتاب
المقدس ١٠٩
القسم الثالث: أوريجانوس الصوفي ورائد الحياة
النسكية ١١٣
١ ـ مفهوم الكمال ١١٥
٢ ـ معرفة الذات ١١٨

٣ ـ الصراع ضد الخطيئة ١٢٠
٤ ـ ممارسات التزهّد الصوفية ١٢٢
٥ ـ مراحل الصعود نحو الكمال ١٢٤
٦ ـ الاتحاد الصوفي باللّوغس ١٢٧
الخلاصة..... ١٢٩
القسم الرابع: مختارات من مؤلفات أوريجانوس ١٣٣
١ ـ الله أتى في المسيح ليصالح العالم ١٣٥
٢ ـ المسيح طريقنا الى الملكوت ١٣٦
٣ ـ المسيح الذبيحة والكاهن ١٣٧
٤ ـ المسيح هو اساس البناء والمؤمنون
هم الحجارة ١٣٨
٥ ـ المسيح يتوسط لأجلنا امام وجه الله .. ١٤٠
٦ ـ المسيح يشرب الخمرة الجديدة مع
القديسين ١٤١
٧ ـ المسيح خاضع للآب في اولئك الذين
اخضعهم معه له ١٤٢
٨ ـ المسيح يجعل مياه الشريعة المرّة عذبة ١٤٣
٩ ـ دم المسيح مشربٌ حقاً وجسده مأكل
حقاً ١٤٥
١٠ ـ جسد المسيح هو الكنيسة ١٤٦
١١ ـ العذراء مريم ١٤٦
١٢ ـ الحب البشري والحب الالهي ١٤٨

١٣ ـ الانسجام بين صفوف المجاهدين
لأجل الله ١٤٩
١٤ ـ كنوزنا الحقيقية في السماء ١٥٠
١٥ ـ الكنيسة سمّيت كنيسة حتى قبل الخلق ١٥١
١٦ ـ أوريجانوس ابن الكنيسة ١٥٢
١٧ ـ المعمودية طريقنا الى المشورات
الانجيلية ١٥٣
١٨ ـ التوبة والغفران ١٥٤
١٩ ـ التجرّد ميزة المسيحي الحقيقي ١٥٥
٢٠ ـ الشهادة الذاتيّة ١٥٧
القسم الخامس: ملحق ١٥٩
١ ـ ملحق اول: المجامع المسكونية ١٦١
٢ ـ ملحق ثان: معجم الكلمات ١٦٥
٣ ـ ملحق ثالث: الالفاظ اليونانية
والسريانية المتداولة كنسياً ١٨٧
المراجع ١٩٩

الاب جورج رحمه

راهب انطوني ماروني، ولد في دير الأحمر ١١ شباط ١٩٤٠.
مجاز في اللاهوت.
دكتور دولة في الفلسفة.
استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية.
استاذ في معهد الحكمة العالي للحقوق.
مدير المركز الكاثوليكي للاعلام ١٩٧٨ ـ ١٩٨٤.
مدبّر عام الرهبانية الانطونية ١٩٨١ ـ ١٩٨٧.
مدير كلية التربية في الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني، ١٩٨٦ ـ ١٩٩١.
امين عام مساعد للمجلس العالمي للتعاون الاسلامي ـ المسيحي ١٩٨٥ ـ ١٩٨٨.
عضو جمعية تيار دي شاردن العالمية.
عضو الاتحاد الكاثوليكي العالمي للصحافة.
عضو اللجنة العليا لرابطات الاتحاد الوطني اللبناني.
عضو اتحاد الصحافة اللبنانية.
عضو أكاديميا الفكر اللبناني.
عضو شرف في الجمعية اللبنانية للصحة العامة.

مؤسّس ورئيس رابطة العائلات اللبنانية.
كاهن رعية السيدة ـ المرداشه ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢.
كاهن رعية مار روكز ـ حوش حالا ١٩٧٢ ـ ١٩٧٥.
كاهن رعية مار منصور ـ النقاش ١٩٧٥ ـ ١٩٩١.
اشترك وحاضر في عدّة مؤتمرات عالمية، فلسفية ولاهوتية ووطنيّة، ابتداءً من سنة ١٩٧٢.

مطبعة الحرّية

شارع الطيان مترو - ملك ناصيف بجاني - الاشرفية

تلفون ٣٢٠٤٤٠ بيروت - لبنان